سورة الكهــف
منهجيات في الإصلاح والتغيير
دراسة تأصيلية تطبيقية

تأليف

أ.د. صلاح سلطـان

المستشار الشرعي

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مملكة البحرين

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

رئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية سابقًا – ميتشجان

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م

رقم الإيداع : ١٠٩٨٣ / ٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

سلطان، صلاح.

سورة الكهف : منهجيات في الإصلاح والتغيير : دراسة تأصيلية تطبيقية / تأليف صلاح سلطان – ط ١ – القاهرة: دار سلطان للنشر، ٢٠٠٨ .

١٧٨ ص، ٢٤ سم.

١– القرآن – تفسير ٢٢٧

٢– القرآن – سور وآيات

أ– العنوان

حقوق الطبع محفوظة

سلطان للنشر - الولايات المتحدة الأمريكية

SULTAN Publishing Co. Inc. USA

Tel. : 001- 614 - 515 - 3522

Cairo: +2 011 1132520

www.salahsoltan.com

إهداء

.. إلى أبى وأمى اللذين علمانى الحب والصبر وقد رمتنى الأقدار بعيداً عن أحضانهما ..

إلى زوجتى التى ملأت قلبى وداً وحبًا وفرغت عقلى للعلم والتعليم فى جنبات الأرض ..

إلى أولادى وقرة عينى: هناء ومحمد وخالد وعمر وبشرى، الذين حُرموا منى لكثرة الأسفار، وأملى فى الله أن يجعلهم من الدعاة الأبرار ..

إلى كل من أسدى إلىّ معروفاً وهم كثر ..

إلى كل من يسعى لنفع الغير وإصلاح الأرض ابتغاء وجه الله تعالى ..

.. إلى هؤلاء أهدى بحثى المتواضع ..



تقديم (١)

بقلم المستشار الشيخ : فيصل مولوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

القرآن الكريم، كتاب الله المعجز، المرجع الأول لكل مسلم في تزكية نفسه وإصلاح مجتمعه والدعوة إلى دينه، وكما أن تلاوته عبادة ينال المسلم فيها على كل حرف حسنة، كذلك فإن تدبره يساعد على اكتشاف إعجازه، وسيجد المسلم في كل آية من آياته المباركات معنى جديداً، يدفع إلى الخير أو يحذر من الشر. لكنا في هذه الدراسة للأخ الكريم الدكتور صلاح سلطان حول سورة الكهف، نقف أمام أسلوب جديد في التدبر والتفسير، يقوم على تحليل عميق للنصوص، وربطها مع بعضها، في إطار المقاصد العامة للقرآن الكريم، فإذا به يصل إلى نتائج هامه، تجعل القصص الواردة في سورة الكهف منهجاً متكاملاً لكل مسلم، في إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه، سواء كان مستضعفاً ملاحقاً، أو حراً منفتحاً على الدعوة، أو قوياً متحكماً صاحب سلطة. وبما أن محور السورة هو إصلاح الناس، فقد أصبحت كل آياتها تسير في هذا الاتجاه، وترشد الدعاة إلى السعي دائماً نحو الأحسن، وإلى ربط الأسباب بالنتائج، وإلى كيفية إدارة الحوار مع الأخرين، وإلى التحرك للإصلاح كفريق عمل، وإلى حسن إدارة علاقات التعاون بين الإسلاميين، وإلى كيفية مواجهة الفتن، وإلى ضرورة الانتقال من ممارسة العبادة إلى تذوقها، ثم ختم كل هذه المعاني بالوقوف أمام كل آية من آيات هذه السورة المباركة، لاستخلاص المعاني التي تصبّ في عملية تزكية النفس وإصلاح المجتمع.

إنه جهد طيب مبارك، وهو ثمار قلب ذاكر لله، وعقل مستنير بوحي الله، وتجربة في الدعوة إلى الله تعالى، انطلقت من مصر إلى أمريكا وأوروبا ثم عادت إلى المشرق العربي، وقد صقلتها تجارب الآخرين في ظروف متفاوتة، فجعلتها أكثر نضوجاً وأطيب ثماراً.

دعائي إلى الله تبارك وتعالى، أن ينفع بهذه الدراسة شباب الصحوة الإسلامية، وأن يجزل الثواب للأخ العزيز الداعية الموفّق الدكتور صلاح سلطان، وأن يجمعنا به في الدنيا على طاعته، وفي الآخرة في جنته، إنه سميع مجيب.

بيروت في ١٤٢٩/٦/٦هـ

الموافق في ٢٠٠٨/٦/١٠م.

المستشار الشيخ فيصل مولوي



تقديم (٢)

بقلم المفكر الإسلامي: أ. د. محمد عمارة

في فقه المنهجية القرآنية

المنهاج .. والمنهج .. والنهج، هو: الطريق الواضح البين .. وقسطاس النظر المستقيم. وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – : «لم يمت رسول الله ﷺ حتى ترككم على طريق ناهجة» – أي واضحة بينة مستقيمة – .

ولأن هذا الذي صنعه رسول الله ﷺ من القول والفعل والإقرار هو «البيان النبوي للبلاغ القرآني»، والخُلق والسجايا والإنجازات العملية التي حولت القرآن الكريم إلى «حياة معيشة».. ومنهاج شامل للفرد والأسرة والأمة.. للذات والآخر.. للدين والدولة.. للعبادات والمعاملات.. للثقافة والمدنية والحضارة.. لآداب السلوك وعلم القلوب وفلسفات العقول.. لفقه الكتاب المسطور والوعي بسنن كتاب الله المنظور..

لأن منهاج النبوة هذا كان «البيان النبوي للبلاغ القرآني».. فإن هذا القرآن الكريم قد مثّل – وما زال يمثل – وسيظل يمثل – الكتاب الجامع لكل مناهج النظر والعمل للإنسان الراشد في جميع ميادين الحياة، وفي سائر الأعمال التي تؤدي إلى الرشاد والسعادة في المعاش والمعاد..

إنه «كنز المنهجية» الذي لا ينفد.. وجماع آفاق النظر المنهجي، التي تتسع دائمًا وأبدًا أمام خطرات القلوب ونظرات العقول وتجارب المشاعر والحواس..

وإذا كانت كلمات الله ومخلوقاته لا نهائية، تبعًا للانهائية طلاقة القدرة الإلهية والإبداع الرباني: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ (لقمان: ٢٧).

فإن آيات الله المسطورة، وكلماته التي نزل بها الروح الأمين على قلب الصادق الأمين ﷺ هي «مجمع بحار النظر ومناهج الفِكَر» في كل ميادين الحياة وسائر عوالم الأحياء..

* * *

وإذا نحن شئنا – في هذا الحيز الموجز – أن نشير – مجرد إشارات – إلى نماذج من المناهج التي يمكن للعقل المسلم أن يلمحها.. ويستخرجها.. ويبلورها من القرآن الكريم؛ لترسم له معالم المنهج الذي يُعيّن ويُحدّد سبل الرشاد في المواقف المختلفة.. والطرق المتباينة.. ووفق مقتضيات الأحوال.. وبحسب فقه الواقع المعيش، تحقيقًا للمقاصد والثوابت الكبرى التي جاء لها الدين: هداية الإنسان إلى السعادة في المعاش والمعاد..

إذا نحن شئنا – في هذا الحيز الموجز – إشارات إلى بعض الآيات القرآنية التي تمثل إضاءات منهجية.. والتي تمثل نماذج تفتح الأبواب لهذا العلم من علوم القرآن الكريم – «علم المناهج القرآنية» – .. فإننا نشير إلى هذه النماذج – التي تمثلها هذه الآيات –:

١– المنهاج القرآني الذي يعلم المسلم عدم الجمود على طريق واحد من الطرق المتعددة التي توصل إلى ذات المقاصد والمصالح الشرعية المعتبرة.. فالمقاصد الشرعية المعتبرة واحدة.. لكن المناهج والطرق إلى تحقيقها تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف الواقع المعيش.. ووفق الموازنات بين المصالح والمفاسد في هذا الواقع المعيش: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (يوسف: ٦٧).

٢– ومنهاج التلطف.. عندما يكون السبيل إلى الحفاظ على الذات التي ستسعى لتحقيق المقاصد الشرعية المعتبرة: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ (الكهف: ١٩، ٢٠).

٣– ومنهاج الغلظة الرادعة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (التوبة: ٧٣، التحريم: ٩).

٤– ومنهاج الإغاظة للكفار المعتدين: ﴿**مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ**

الأَعْرَاب أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠).

٥- ومنهاج الجدال والحوار بالتي هي أحسن، إلا مع الذين ظلموا: **﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** (العنكبوت: ٤٦).

٦- ومنهاج الصبر على مقولات الشرك.. وإحالة أمر رؤوس المكذبين إلى القادر القاهر: **﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾** (المزمل: ١٠، ١١).

٧- ومنهاج بذل المعرفة والعلم للكافة، حتى للمشرك الطالب للمعرفة: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾** (التوبة: ٦).

٨- ومنهاج التمييز بين فصائل الآخرين وتياراتهم ومذاهبهم: **﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾** (آل عمران: ١١٣-١١٥)، **﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** (البقرة: ١٠٠، ١٠١).

٩- ومنهاج نسبية العلم الإنساني.. وجزئية المعرفة الإنسانية - تبعًا لنسبية

مدركات العقل الإنساني – بالقياس إلى العلم الإلهي – الكلي.. والمطلق.. والمحيط –: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

وقصة موسى – عليه السلام – مع صاحب العلم اللدني – في سورة الكهف – شاهد على الفارق بين النسبي وبين اللدني في المعارف والعلوم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥)، فالعلم الإنساني ثمرة للوجود والموجود.. بينما العلم الإلهي مصدر للوجود والموجود.. ولذلك يوصف الله – سبحانه وتعالى – بأنه «عالم»، ولا يوصف بأنه «عارف» – لنسبية المعرفة.. وجزئيتها.. ولسبق الجهل لها – كما يقال: عرفتُ الله.. ولا يقال: علمتُ الله.. لاستحالة إحاطة الإنسان بعلم ذات الله وكنهه.. كما يوصف الله – سبحانه وتعالى – بأنه «الشارع» للشريعة الإلهية – التي هي علم إلهي كلي، ووضع إلهي مطلق ومحيط.. ولا يوصف – سبحانه – بأنه فقيه.. لأن الفقه معرفة جزئية، متغيرة، يثمرها التفكر والتعقل في فقه الواقع وتنزيل الشريعة على هذا الواقع المعيش..

١٠ – ومنهاج التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف في الخلق.. وفي الشرائع.. والملل.. والنحل.. والثقافات.. واللغات والقوميات.. والحضارات.. والأنواع.. والأجناس.. والألوان.. والقبائل والأمم والشعوب.. ودوام هذه السنة في التعدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ٤)، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (طه: ٥٣)، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

١١- ومنهاج التدافع - والحراك الفكري الاجتماعي - الذي يصحح الخلل.. ويزيل المظالم.. ويعيد العلاقات بين الفرقاء المتمايزين إلى مستوى العدل والتوازن: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٥١)، ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (الحج: ٤٠)، ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ (فصلت: ٣٤).

وهذا المنهاج القرآني - في «التدافع» - هو البديل لمنهاج «الصراع»، الذي يصرع فيه القوي الضعيف، فينهي سنة التعددية والتمايز والاختلاف: ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ** ﴾ (الحاقة: ٧، ٨).

١٢- ومنهاج الضرورات، المبيحة للمحظورات - والتي تقدر بقدرها: ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (البقرة: ١٧٣)، ﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ...- مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (النحل: ١٠٥، ١٠٦)، ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ (آل عمران: ٢٨).

١٣- والمنهاج الوسطي في التعامل مع الأنبياء والمرسلين - كبشر يوحى إليهم - فهم بشر، تسرى عليهم سنن الله في البشر.. وهم معصومون فيما يبلغون عن الله من نبأ السماء العظيم.. «فأرواحهم - كما يقول الإمام محمد عبده [١٢٦٦-١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥م] - ممدودة من الجلال الإلهي بما لا

يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليه سطوة روحانية، يشرفون على الغيب بإذن الله، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالَميْن: نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها.. أما فيما عدا ذلك، فهم بشر يعتريهم ما يعتري سائر أفراده» - [الأعمال الكاملة جـ٣ ص ٤٠٠، ٤٠٦] - .

وهذا المنهاج هو الذي يعصم من غلوى الإفراط والتفريط.. يعصم من تأليه الأنبياء والمرسلين وعبادتهم من دون الله.. كما يعصم من تكذيبهم وقتلهم - على نحو ما صنع الغلاة! - .

* * *

تلك إشارات - مجرد إشارات - لنماذج من المنهجيات القرآنية، التي مثلت وتمثل أبوابًا متعددة، وطرقًا متمايزة، يفتحها فقه المنهجية القرآنية أمام العقل المسلم، ليتخير هذا العقل المنهاج الذي يقود إلى تحقيق المقاصد الشرعية المعتبرة، في ضوء الواقع المعيش.

* * *

ولقد آثرنا أن تكون هذه الإشارات إلى هذه المنهجية القرآنية توطئة نقدم بها بين يدي هذه الدراسة المنهجية المتميزة للمناهج القرآنية التي أشارت إليها آيات سورة الكهف..

وهي الدراسة المتميزة والممتازة.. والكاشفة.. التي فتح الله بها على العالم المتميز الأستاذ الدكتور صلاح الدين سلطان.. صاحب العطاءات الفكرية المتميزة والمجددة.. والذي نرجو الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بعلمه.. وأن يزيده فقهًا.. ووعيًا.. وعطاء.. وأن يوفقه لاستكمال هذه الإضاءات المنهجية المبثوثة في كل سور القرآن الكريم..

إنه سبحانه وتعالى - خير مسئول.. وأكرم مجيب.

القاهرة في: ٥ رجب ١٤٢٩ هـ
٨ يوليو ٢٠٠٨ م

أ. د. محمد عمارة

تقديم (٣)

بقلم الأستاذ الشيخ: وصفي أبو زيد

الحمد لله رب العالمين، أحمده حق حمده بكل المحامد على كل النِّعم، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً تُدفَع بها عنا النقم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خيرُ الأمم، اللهم صلِّ وسلم وزِدْ وبارِكْ عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار الأبرار الأخيار، أولي الأيدي والأبصار وأصحاب الهمم، ومن اقتفى أثرهم وسلك نهجهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد،،

فقد طلب إليَّ أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور صلاح الدين سلطان أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب البديع: «سورة الكهف، منهجيات في الإصلاح والتغيير، دراسة تأصيلية تطبيقية»، فظننتُه في أول الأمر يمزح، لكنه قرر رغبته وكرر طلبه، فقلت لفضيلته: إن شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي لما أراد أن يكتب عن الداعية المجدد الشيخ محمد الغزالي ورحلة نصف قرن قال: إن الإمام محمداً أبا زهرة لما كتب عن الأئمة قال: لا يكتب عن الأئمة إلا إمام، وقال العقادُ حين كتب عبقرياته: لا يكتب عن العباقرة إلا عبقريّ، ثم قال الشيخ القرضاوي: «ومن لي بالإمامة والعبقرية حتى أكتب عن إمام وعبقري مثل الغزالي».

ولما قدَّم الشيخ القرضاوي ـ وهو من هو ـ لفتاوى الفقيه الجليل الشيخ مصطفى الزرقا قال: «وما كان لمثلي أن يقدم مثله، لكنه أَمَرَ وَرَغِبَ، وليس عليَّ إلا السمعُ والطاعة، وقديما قالوا: الامتثالُ خيرٌ من الأدب». فرد عليَّ د. صلاح وقال مبتسماً: إذاً عليك أن تمتثل..!!

وعلمتُ بعد ذلك سرَّ هذه الرغبة المقدورة، وهو أنه ـ حفظه الله ـ يريد أن يلفت النظر إلى منهجية أخلاقية تربوية مهمة، تتلخص في أن عهْدَنا دائما أن يكون الوفاءُ من التلميذ للأستاذ، ومن الابن لأبيه وأمه، ومن الزوجة لزوجها، ومن المرؤوسين للرئيس، ونادرا ما تجد أستاذاً يذكر تلميذَه، أو يحرصُ على إبرازه ورفع مقامه، أو تجد والداً يذكر فضل ولده، وهكذا، وهي منهجية تربوية مهمة يَتَمَثَّلُ

فيها تمثُّلا واضحًا المنهاجُ الأخلاقيُّ في الإسلام.

وأود في هذا المقام أن أشير إلى أمرٍ آخرَ، وهو أن الدكتور صلاح قَبْل نشر الكتاب وقبل أن يشرفني بكتابة مقدمة له أرسله إليَّ، وطلب أن أقرأه وأُبْدي عليه ملاحظاتي، فتعجبتُ من هذا المسلك؛ لأن المعهود أن يرفع التلميذُ عملَه لأستاذه؛ يُصَحِّحُه بخبرته، ويُقَوِّمُه برؤيته، ويوجِّهُه بعلمه ونظرته، فكيف يَسْتَنْصِحُ الأستاذُ تلميذَه ويطلبُ منه رأيه؟!

ولهذا ظننتُ هذا تواضعًا منه ـ وتواضعُه سجيَّةٌ لا تكلفَ فيه ـ فقرأتُ الكتاب ولم أرسل له رأيي، لكنه أكد الرغبة وأعاد الطلب وقال: «لن أدفع بالكتاب للمطبعة حتى أتلقى ملاحظاتك!!»، فلم أجد بدًّا من كتابة رأيي على خجلٍ، فسطرتُ له خمس صفحات؛ ثناءاتٍ للكتاب بما يستحق، وتعليقاتٍ وملاحظات على بعض المنهجيات ومضمونها، بل نقداً أحيانا لبعض ما جاء فيها، وأشهد أنه لم يضق ذرعًا بملاحظاتي كما يفعل كثير من الأساتذة مع تلاميذهم، بل رحَّبَ بها، وهش وبش لها، وأخذ بمعظمها تعديلا وتصحيحا، وهكذا تكون أخلاقُ الكبار.

وبعدما فرغت من قراءة هذه الدراسة قراءةً أرجو أن تكون واعية، قفز إلى ذهني ما رواه الترمذي في سننه بسندٍ فيه مقال عن الحارث الأعور أن النبي ﷺ قال عن القرآن: «...هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه...».

وتذكرت قول الإمام الشاطبي من أن القرآن الكريم "كليةُ الشريعة، وعمدةُ الملة، وينبوعُ الحكمة، وآيةُ الرسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، وأنه لا طريقَ إلى الله سواه، ولا نجاةَ بغيره، ولا تَمَسُّكَ بشيء يخالفُه ... وإذا كان كذلك لَزِمَ ضرورةً لمن رامَ الاطلاعَ على كلياتِ الشريعة، وطَمِعَ في إدراك مقاصدها واللِّحاق بأهلها أن يتخذَه سميرَه وأنيسَه، وأن يجعلَه جليسَه على مَرِّ الأيام والليالي؛ نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما، فيوشك أن يفوزَ بالبُغْيَة، ويَظْفرَ بالطُّلْبَة، ويجدَ نفسَه من السابقين وفي الرعيل الأول». الموافقات: ٤ / ٣٤٦ . طبعة دار الفكر العربي.

وأحسب أن هذا الكتاب ثمرةٌ طبيعية لاتخاذِ القرآن الكريم ـ وبخاصة سورة الكهف ـ سميرًا وأنيسًا، وجعْله جليسًا على مر الأيام والليالي نظرًا وعملاً، ففاز كاتبُه بالبُغية، وظفر بالطُّلبة، وكان من السابقين إن شاء الله، وفي الرعيل الأول، ولا نذهب بعيدا فها هو يقول في مقدمته: «... وبعد، فقد لامسَتْ سورةُ الكهف ـ كلَّ جمعة ـ شغافَ قلبي، وحبَّاتِ عقلي، وذرَّاتِ جسمي، وهِمْتُ بها، فأعطاني الله فيها من عمق التدبر العقلي، وشدةِ التأثر القلبي، ما جعلني أشعرُ أنها جزءٌ من منظومة فكري ومنهاجِ حياتي».

إن القرآن الكريم بمثابة اللآلئ التي تسكنُ الصَّدَفَ، فإذا فتحنا هذا الصدف تكشَّفَ لنا اللؤلؤ، وفاضَ فيضُه المكنون..!! وهذا الفيض الربانيُّ والكشفُ الإلهيُّ لا يتسنى إلا لمن ملك مؤهلاتِ استنزاله في القلوب والعقول؛ مِنْ عِلْمٍ وخُلُق، وعملٍ ودعوة، وحركة وإصلاح، وشغلٍ بالقرآن، واستمداد منه، وإقبالٍ عليه.

ولقد غاص المؤلف الكريم ـ بما مَنَّ الله به عليه من مؤهلات ـ في بحر القرآن العظيم، ففتح هذا الصدف، وتكشَّفتْ له سورةُ الكهف كما لم تتكشفْ لأحد، وسمحتْ له من المعاني والنظرات والمنهجيات بما لم أره عند غيره من علمائنا السابقين فيما أعلم، وهذا مصداق القول السابق للنبي ﷺ عن القرآن، الذي وُصِفَ بأنه «الكريم»؛ فهو كريم في كلامه، كريم في تشريعاته، كريم في أفكاره وتصوراته، كما أنه كريم في عطائه وفيوضاته متى أقبل عليه قارئه في خشوع وتدبر، وتقدير وتعظيم، ويقين وثقة واستسلام..!

لقد استخرج الأستاذ الدكتور صلاح سلطان أربع عشرة منهجية غيرَ مسبوقةٍ في تفاسير هذه السورة على كثرتها وتنوعها وامتدادها التاريخي، وهي منهجيات أصولية دعوية حركية تربوية إصلاحية، من شأنها أن تكون زادًا نافعًا لأبناء الحركة الإسلامية: يُعمِّق فكرها، ويُسدِّد عملها، ويُرَشِّد مسيرتها، ويحفظُها من الخللِ الفكري، والضعف التربوي، والانحراف السلوكي والخلقي.

إن هذه الدراسةَ تنبعُ أهميتُها ـ في تقديري ـ من أمرين:

الأول: المنهاج الذي سار عليه المؤلفُ فيها، وطريقته في التعامل مع النص

القرآني؛ حيث التحم معه التحاما مباشراً بعد تأمل وتدبر طويلين، فانكشفت له من هذه السورة تلك المعاني الجديدة، وأفاضت هذه الفيوضاتِ والتَّنَزُّلات، وأسفرت عن هذه المنهجيات المبتكرة التي جمعت بين الدعوة والحركة، ومزجتْ بين العلم والعمل، ووصلتْ بين التأصيل والتطبيق، وربطتْ بين الدنيا والآخرة دون أن تخبو هذه الفيوضات في ثنايا الأقوال والفهوم الأخرى التي ربما حجَّمت من فيض هذا التَّنَزُّلِ الملهم، ودون أن تنطفئ هذه الأنوار بين يدي ما ينقله المفسرون من أقوال وروايات ربما كان فيها بعض الموضوعات والإسرائيليات.

كما كان من نتائج هذا الالتحام المباشر -إلى هذه الفيوضات والأنوار- تَتَبُّعُ كلِّ منهجية في السورة كلها، فكلُّنا يقرأ سورةَ الكهف أسبوعيًّا ولم يتنبه لمعظم ما جاء في هذه الدراسة، لكن حين نقرؤها في ضوء هذا المنهاج نجد عجباً..!

لقد تنادت الآيات للدكتور صلاح فاجتمعت عنده، وتجمعت المعاني والأفكار فانتظمت له، ولَمْلَمَتِ الشواردُ بعضَها فتواردت عليه، واستطاع أن يؤلف بينها ويجمع شتاتها حتى أخرج لنا هذا العقدَ الفريدَ في حُلَّةٍ بهيَّةٍ باهرةٍ، كأنها تنزيلٌ من التنزيل، أو قبسٌ من نور الذكر الحكيم.

والأمر الثاني: أن صاحبها هو الأستاذ الدكتور صلاح الدين سلطان، صاحب التجربة الثرية والواسعة في الدعوة إلى الله تعالى، وصاحب العلم الغزير، والخلق الكريم، والفقه في الدين، فهو أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بالقاهرة، وعضو المجامع الفقهية في أمريكا وأوربا والهند، ورئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية سابقا، والذي طاف الأرض شرقا وغربا داعيا إلى الله، غيرَ راغبٍ في فضلٍ من أحد سواه، جاعلاً أنيسَه وشعارَه: ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الشعراء: ١٠٩).

قد يحسب البعض أن هذا هو منطق التلميذ والمحب -وإن كنت لا أنكر أنني أتقرب إلى الله بحبه- أو يقولون إن التلميذ لا يسعه إلا أن يمتدح أستاذه، فلْيكنْ هذا أو ذاك، لكن من عايش الدكتور صلاح، وتابع نشاطه العلمي والدعوي في أرجاء الأرض لا يسعه إلا أن يسطر عنه هذا أو يزيد، نحسبه كذلك والله حسيبه،

وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

ومن المعلوم أن تجارب المفسرين وثقافاتهم واهتماماتهم تظهر آثارها في تفسيرهم لكتاب الله، فاللغويُّ يظهرُ في تفسيره الاهتمامُ باللغة، والأثريُّ تظهر فيه الآثار، والبلاغيُّ تظهر فيه البلاغةُ والبيان، والكلاميُّ تظهر فيه آراءُ المذاهب والملل والكلام، والفقيهُ تظهر فيه الفقهُ والأحكام، وأحسبُ أن علمَ الدكتور صلاح وتجربتَه في الإصلاح والدعوة والتغيير كانت مرآةً انعكستْ عليها سورةُ الكهف، فنضحت بآثارها على هذا التفسير المبارك.

ولا أحولنَّ بين القارئ الكريم والاستمتاع بهذه الدراسة؛ ليرى فيها مصداق ما أقول، ولْتَكُنْ هذه السورةُ فاتحةَ خيرٍ عليه وعلينا وعلى الأمة الإسلامية كلها، نحو انطلاقة جديدة إلى تفسير للقرآن الكريم كلِّه على هذا النحو؛ بحثًا عن منهجيات الإصلاح والتغيير التي يفرضها الدينُ ويُحَتِّمُها الواقع، ويفتقرُ إليها واقع العمل الإسلامي، ضارعًا إلى الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، وأن تجد من اهتمام أهل العلم والفكر وقادات العمل الإسلامي ما هي له أهل، وأن تكون نبراسًا للدعاة والمجاهدين، ووميضًا يبرق للعاملين والمصلحين، وأن يجزيَ أستاذَنا عنها وعنَّا خيرَ ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين الربانيين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

الفقير إلى عفو ربه

وصفي عاشور أبو زيد

Wasfy75@yahoo.com

الكويت في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ - ٣٠/٦/٢٠٠٨م

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خيرمن خلق الله في الأرض والسماوات، وعلى آله وصحبة وأزواجه وأتباعه من ذوي المكارم والمروءات، إلى يوم البعث بعد الممات، وبعد..

فقد لامست سورة الكهف كل جمعة شغاف قلبي وحبات عقلي وذرات جسمي وهمت بها، فأعطاني الله فيها من عمق التدبر العقلي، وشدة التأثر القلبي، ماجعلني أشعر أنها جزء من منظومة فكري ومنهاج حياتي، وقد هداني الله فيها إلى منهجيات كلما حدَّثت فيها أحداً من الدعاة العلماء، والأخوة والأخوات قالوا كأننا نقرأ هذه السورة لأول مرة وفق هذه المنهجيات، وقد دعوت الله في السَّحَر، ورجوته في السر والعلن ألا يجعل في شيء مما اخترت خروجا عن المنهاج الرباني والهدي النبوي. وأرجو أن يكون قد استجاب دعائي الذي صاحبني مع هذا الكتاب: «اللهم اجعل له القبول الحسن والتغيير للأحسن».

وقد عايشت هذه المنهجيات لعدة سنوات حتى إذا استوت على الجودي، ألح علي القلم مدرارا وانهمرت الأفكار أنهاراً، ووجدتني في رحلتي الأخيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في صفر ١٤٢٩ هـ ـ فبراير ٢٠٠٨م، لا أجد حيلة إلا الكتابة في الطائرات والمطارات بين مملكة البحرين، وفرانكفورت وديترويت، وفيلادلفيا، وكولومبس، وبالتيمور، والسعودية، والكويت، والقاهرة، وتركيا. وكنت أسرع الكتابة خشية أن تطوى الأفكار بين طيات الهموم الجسام في غزة فلسطين، وبغداد العراق، وفي إسلام أباد باكستان، وكابول أفغانستان، وطهران إيران، ومقديشو الصومال، وبيروت لبنان، والقاهرة في مصر الأزهر الشريف.

ولعل اختلاط هذه الهموم العظام بمنهجيات سورة الكهف هي التي أنتجت ـ بفضل الله ـ هذه الرؤية بعنوان: سورة الكهف: منهجيات الإصلاح والتغيير ـ دراسة تأصيلية تطبيقية ـ.

وكان أول ما لفت نظري في هذه السورة ما ورد في فضلها، ومنه ما رواه البخاري بسنده عن البَراءِ بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «كان رجلٌ يقرأُ سورةَ الكهْفِ، وإلى جانبه حِصانٌ مَرْبوط بشَطَنَين، فتَغَشَّتهُ سحابةٌ، فجَعَلَتْ تدنو وتدنو، وجَعَلَ فرسُهُ يَنفِر. فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «تلك السَّكينَةُ تَنزَّلت بالقرآن» (صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل الكهف: ٦٩/١٠)، وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ». (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف: ٧٧/٦)، وروى الإمام أحمد بسنده عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الكَهْفِ وآخِرَها كَانَتْ لَهُ نُوراً مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّها كَانَتْ لَهُ نُوراً ما بَيْنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ» (مسند الإمام أحمد، حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه: ٤٦٣/٤).

أن هذا النور الذي وعد به النبي ﷺ ليس كما يظن البعض أنه طاقة من النور تظهر لـ«دراويش» فيرتعش أحدهم مكبرا ويبكي متأثرا ثم تذهب هذه اللمحة من النور مع أحلام اليقظة. إنما النور المقصود في الحديث هو المنهج الذي يبدأ بالحق ضعيفاً مطارداً، ويتوسط بالحوار مخاطباً، وينتهي بالاستخلاف تمكيناً، ولكل مرحلة أسلوبها الذي لايجوز غيره فقوله تعالى: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً**﴾ (الكهف: ١٩) هي المنهج لكل حالة تتكرر فيها تهديد الكثرة الظالمة للقلة المؤمنة ومنهجية: ﴿**وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**﴾ (الكهف: ٣٧) هي الوحيدة الجائزة في الحديث مع الأصدقاء والأقرباء والجيران.

أما عندما يكون لأصحاب الحق السلطة والقرار فلا يجوز آنئذ الاعتزال أو الحوار فقط بل منهج: ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾ (الكهف: ٩٥)، هو الذي يجب القيام به.

هذا في اعتقادي هو النور أي المنهج الذي يستضيء به أصحاب الحق ليعرفوا مساحة الحركة وحدود السلطة، ولايكون ثمة إفراط ولاتفريط. كما أن هذا السلم الصاعد من الاستضعاف إلى الحوار، ومنه إلى التمكين، يعطي كل أسبوع جرعة

أمل أمام هذا الألم في أعماق أمتنا، ويعطي أنه لايمكن أن يخرج ذو القرنين من الكهف، بل هذا التدرج في الخروج من العمل السري إلى الحوار العلني، ومنه إلى التمكين الرباني، ولابد لذلك من إرادة قوية، وإدارة سوية، وانطلاقة فتية، كما سنلحظ في قصة سيدنا موسى والخضر، وأيضا لأننا لانعمل في فراغ فلابد أن نحسن كيف ندير الفتن، سواء فتنة السُلطات أم الشياطين أم زينة الحياة الدنيا والمال والولد أم فتنة العلم والأصدقاء.

ويلزم لهذا الطريق أن يكون عندنا وصف دقيق، وتحليل عميق، وحلول مناسبة لكل أمراضنا وأزماتنا، كما وجدت هذه المنهجية في قصص هذه السورة. فعند الانطلاق نحو الحلول المناسبة لابد من التخلية ثم التحلية للارتقاء من الممارسة إلى التذوق، ومن الاختلاف إلى الائتلاف لنلتقي عند «مجمع البحرين»، وربط الأسباب بالنتائج، والبحث فيما تحته عمل فقط، والارتقاء إلى الأحسن، ودقة الاختيار بين المتقابلات والأضداد. وأخيرا أجد من المنهجية الضرورية أن ندرك أن العناية الربانية في النصر والتكمين، والعز والغنى، تنتظر أن نقوم بأمرين واجبنا التربوي في إصلاح النفس، وواجبنا الدعوي في إصلاح المجتمع، ولقد بينت الأدلة على وجوب هذا الإصلاح التربوي أولا والدعوي ثانيا، لننال العناية الربانية ثالثا. وقمت بعد التأصيل بالتطبيق والتفصيل على كل آية في سورة الكهف راجيا أن تدرس السورة تماما كما كان سلفنا الأول أصحاب النبي ﷺ يتلقون منه عشر آيات فيحفظونها ويعملون بها ويبلغونها، فنالوا العناية الربانية ومات النبي ﷺ وهو يقول: «لايجتمع دينان في الجزيرة العربية» (موطأ مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة، حديث رقم: ١٥٨٤)، وجاء الخلفاء ليكملوا هجرة الدعاة، وغدا الإسلام إلى العراق وإيران والهند والصين شرقا، وتمدد غربا إلى مصر والمغرب العربي، والتقى الفاتح شمالا في الأندلس مع الفاتح في القسطنطينية وبلاد ماوراء النهر. فهل نعود إلى هذا النبع الصافي والمورد العذب الشافي، ليكون العلاج الكافي لأمراض القاصي والداني، هذا ما أرجوه حقا وما أطلبه صدقا من وراء هذا الكتاب.

ولعل أهم معالم المنهج الذي تناولت به هذا الكتاب:

١. أن يكون القرآن كتاب هداية لا ثقافة، بأن نعيش معه بالعقل تدبرا، وبالقلب تدبرا، وبالنفس تغيرا.

٢. جعلت عيناً على الآيات، وعيناً أخرى على آلامنا الواقعية، وبذلت جهدي في استنباط معالم الأمل بين طيات الألم، ثم استخراج خطوات العمل لإصلاح هذا الخلل.

٣. تشبعت كثيرا بمنهجية استنباط الواجبات التربوية لإصلاح النفس، والدعوية لإصلاح المجتمع، وبالعناية الربانية لنصل إلى العز والتمكين للإسلام والمسلمين مع سعادة في الدنيا والآخرة.

وإنني أستنصح كل إخواني وأخواتي ذوي القلوب والأبصار، والرؤى والأفكار، والخلق الفريد، والعقل الرشيد، أن يخلصوا النصح لي فإنني بإذن الله أعزم على أن تكون سورة الكهف – وهي وسط القرآن – منطلقا إلى بقية السور لمنهجيات أخرى تساهم في بناء الأمة الوسط الشاهدة على الناس، الرائدة إلى الخير، المستغنية بالله عن ذل السؤال وطول الانكسار بين يدي كل عنيد جبار، ولا أحسب ذلك بعيدا إن خلصت النوايا وصدق العزم واتضح المنهج، وانطلق العمل مع يقين لايخالجنا فيه أدنى شك بما وعد به الله المؤمنين في الانتقال إلى الاستخلاف بعد الاستضعاف، وإلى الأمن بعد الخوف، وإلى العز بعد الذل، وإلى الغنى بعد الفقر، وإلى السعادة بعد الشقاء.

وأخيرا أشهد الله أني اجتهدت وُسْعي وبذلت قصارى جهدي في استخلاص هذه المنهجيات وليس تفسيرا للآيات واستنصحت العلماء الأثبات والدعاة الثقات وأضفت أهم مانصحوا به من ملاحظات، فإن كان من خير في هذه المنهجيات فهي محض فضل من رب الأرض والسماوات، وإن كان غير ذلك فلعله أثر ذنب أسأل الله أن يغفره وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وعلى الله قصد السبيل وهو نعم المولى ونعيم النصير.

صلاح سلطان

٢٩ ربيع الآخر ١٤٢٩

٥ مارس ٢٠٠٨

مملكة البحرين

مدخل تمهيدي
بين المنهجية والشرعة

لعل أول سؤال يطرح نفسه ما الفرق بين المنهاج والتشريع، ويمكنني توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

١ . يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ (المائدة : ٤٨)، الشرعة: هي الأحكام التفصيلية مثل وجوب الصلاة، أما المنهجية: فهي كيف وصلنا إلى أن الصلاة فريضة، والجواب هو: من النصوص القطعية من الكتاب والسنة.

٢ . حديث المرأة الخثعمية: روى ابن ماجه بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَخِيهِ الْفَضْلِ، أَنَّهُ كَانَ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ غَدَاةَ النَّحْرِ: فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخاً كَبِيراً، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ. أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ. فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ قَضَيْتَهُ» (سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الحج عن الحي إذا لم يستطع : ٢ / ٩٧١)، لو أن النبي ﷺ أجاب المرأة مباشرة بقوله: (حجي مكان أبيك) فقط لكان حكما شرعيا، لكنه ﷺ بين لها المنهجية التي وصل بها إلى الحكم وهي القياس على وجوب أداء ديون العباد، وبالتالي يجب أداء حقوق الله عن الأقارب.

٣ . قوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ (آل عمران : ١٥٩)، منهجية في اتخاذ القرار، أن يكون قرار الحرب داخل المدينة وخارجها، أو أن نجعل البئر أمامنا أو خلفنا، وأن نعطي ثلث ثمار المدينة لبعض قبائل العرب ليخذلوا المشركين عنا. هذه آثار وأحكام، وشرعة لمنهجية الشورى في اتخاذ القرارات .

٤ . آية الوضوء: ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى**

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ (المائدة : ٦)، هي شرعة لاتصلح إلا للوضوء، والغسل والتيمم، لكن في نفس الآية : ﴿**مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾ هي منهجية تفكير واستنباط كل الأحكام.

٥ . مارواه البخاري بسنده عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا» (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة : ١ / ٢٢٠)، هذه منهجية ترسي ضرورة التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة ولايعطي الحديث أية شرعة تفصيلية.

٦ . عندما قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك : (وطِّئ للناس كتابا تدع فيه شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود) (موطأ مالك، الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في اجلاء اليهود من المدينة، حديث رقم : ١٥٨٤)، كان يضع له منهجية تأليف كتابه الموطأ، أما جاء في كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس من أحكام شرعية كثيرة فهي شرعة بنيت على منهاج قويم.

٧ . أئمة المذاهب لم يصيروا أئمة أصحاب مذاهب خاصة إلا لأن لكل واحد منهم منهجية وخطة يتميز بها عن غيره، فأكثرهم يعتمدون القياس، وابن حزم لايأخذ به، والشافعية ينكرون العمل بالاستحسان ويأخذ به الأحناف، وعمل أهل المدينة حجة عند المالكية دون غيرهم، وخبر الواحد لايخصص عموم القرآن عند الأحناف واعتمده آخرون، ويعتمد علماء السنة كل ما صح من الأحاديث من جميع الصحابة الثقات من علماء الأمة، بينما يعتمد الشيعة الأحاديث الواردة فقط عن طريق آل البيت. وهذه كلها مناهج للاعتماد والاستنباط.

٨ . عندما أقول أن هناك ظاهرة العنوسة أو الطلاق أو انتشار المخدرات هذه التفاصيل تنبئ على منهجية الإحصاء أو الاستقراء الدقيق. وهي منهجية ينتج عنها أرقام ونسب تبنى عليها قرارات دولية.

بعد هذه الأمثلة أريد أن أقول أنني أتناول سورة الكهف من الناحية المنهجية، وليس تفسيرا للكلمات، وأسباب النزول، وتصحيح الروايات والترجيح بينها، هذه مهمة أفاض بها كثير من علمائنا جزاهم الله عنا خير الجزاء. لكني هنا أجتهد في استنباط المنهجيات التي يجب أو يستحب اعتمادها في الإصلاح والتغيير لواقع مرٍّ يحتاج قبل أي وقت مضى أن ننطلق لهذا التغيير وفق رؤية منهجية منضبطة بالقواعد الشرعية والأصول الإسلامية والمصالح العامة التي تؤتي أعظم الثمار مع غاية الجهد لمرضاة الله تعالى.

المنهجية الأولى

التدرج من الاستضعاف إلى الحوار ومنها إلى التمكين

الإصلاح والتغيير فرض عين منذ اللحظة الأولى التي بها صار النبي محمد ﷺ رسولاً بقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر:٢) فالدعوة إلى الله وحمل أمانة الإصلاح والتغيير فرض قبل الصلاة بعشر سنوات، وقبل الزكاة والصيام بخمسة عشر عاما، وقبل الحج بثمانية عشر عاما .

وسورة الكهف هي نسيج متكامل متوازن متدرج في الإصلاح والتغيير، فالقصص الواردة فيه هي عبارة عن تيار من الإصلاح من السيئ إلى الحسن ومنه إلى الأحسن، من خلال القصص التالية :

١ . أصحاب الكهف.

٢ . الصاحبان.

٣ . موسى والخضر.

٤ . ذو القرنين.

وجميع هذه القصص تشترك في كونها عبارة عن مشوار متدرج واضح المعالم في الإصلاح والتغيير، إما من السيئ إلى الحسن ثم الأحسن في القصص الثلاثة(أصحاب الكهف والصاحبين وذي القرنين)، أو من الحسن إلى الأحسن في قصة موسى والخضر.

ولكي نركز على المنهجيات لا التفصيلات لابد من ملاحظة ما يلي :

أولاً : هناك ثلاث قصص فيها صراع بين الحق والباطل وهي أصحاب الكهف، والصاحبان، وذو القرنين، وقصة واحدة فيها تعاون بين أطراف الخير وهي قصة موسى والخضر.

ثانياً : يبدأ الحق ضعيفاً، مظلوماً، مطارداً، مضطهداً، والباطل قويا، منتفشا، متغطرسا، يطارد حريات التدين، والحركة، والدعوة، والكلمة، و.....، وذلك في

قصة أصحاب الكهف، حيث إن فتية آمنوا بربهم فتعرضوا للتهديد بالقتل رجماً إن لم يعودوا ـ مثل بقية الناس ـ عباداً لغير الله تعالى ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ (الكهف: ٢٠)، وأمام هذه الحالة ليس من الشجاعة أن يقف هؤلاء المستضعفون القلة عددا وعدة في مواجهة هذه الأنظمة القوية الفاسدة، بل الحكمة والشجاعة هي في اتباع منهج: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾ (الكهف: ١٩).

أعتبر أن هذه الآية هي آية المنهج في القصة، فهي تلخص المنهج في الإصلاح والتغيير في أية حالة تتكرر فيها هذه الظروف نفسها، ويعتبر تجاوزاً من الدعاة أن يتخطوا هذه الآية اذا انطبقت عليهم الظروف نفسها ، وهذا ما فعله النبي ﷺ في المرحلة المكية التي استأسدت قوى الكفر على جماعة الإيمان فأذاقوهم ألواناً من العذاب والمطاردة حتى لما هاجروا إلى الحبشة وكان المنهج آنئذٍ: ﴿**كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ (النساء ٧٧)، وقتلت سمية بحربة في قُبُلها، وكذا زوجها قتل شهيدا، ولا يملك الرسول ﷺ إلا قوله: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»(جامع المسانيد والمراسيل، لجلال الدين السيوطي، الإكمال من الجامع الكبير، حرف الصاد: ٥ / ٧٢)، ولما استعجل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في رد الاعتداء قال: «لم نؤمر بذلك بعد»، على حين أن النبي ﷺ بعد تغيير الظروف، وتعديل موازين القوى، فاجأ بني قينقاع بالغزو عندما كشفوا عورة امرأة مسلمة واحدة في سوق بني قينقاع في المدينة لأنه هنا معه دولة وقوة، وحماية الأفراد جزء من سيادة وكرامة الدولة، والإمكانات القانونية والأعداد البشرية كلها توجب اتخاذ موقف مختلف، هذا مع بساطة جريمة كشف عورة امرأة مسلمة إذا قيست بقتل سمية بحربة في قُبُلها .

إن المندفعين اليوم في بلاد شتى لابد أن يعيدوا قراءة المنهج الصحيح للإصلاح والتغيير في سورة الكهف مستلهمين الوسيلة المناسبة في الإصلاح التي تتوافق مع موازين قوى الحق والباطل، ولعله تفسير لقوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**

اعْـمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * وَلِلّهِ غَـيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(هود: ١٢١–١٢٣)، وهو ختام أكبر حشد من قصص الصراع بين الحق والباطل في سورة هود .

ثالثاً : في قصة الصاحبين هناك تساوٍ في السلطة – لا القدرات المادية والبشرية – بين الصاحبين، فهما أصحاب، بمعنى لا سلطان لأحد على الآخر وقد اختار أحدهما الكفر، واختار الآخر الإيمان .

وقد كان أمام الصاحب المؤمن مع الكفر البواح من صاحبه الذي قال : ﴿ **مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** ﴾ (الكهف ٣٥، ٣٦)، منكراً قدرة الله على إهلاك حديقته، ونفي البعث والنشور، وأنه لو فرض وجود يوم القيامة فسوف يحتفظ بوجاهته وماله في الآخرة، قد كان أمام الصاحب المؤمن ثلاثة اختيارات :

١ . الاعتزال، مثلما حدث من أصحاب الكهف : ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ** ﴾ (الكهف : ١٦) .

٢ . الاعتداء باستعمال القوة، بأن يقوم بقتله أو ضربه أو نهره جزاء كفره وعناده .

٣ . الحوار والإقناع، وهذا بالضبط ما حدث ليكون منهج الدعوة في حالة التساوي في السلطة بين الأصدقاء، والشركاء، والجيران، والأعضاء في نقابة أو هيئة أو مؤسسة تكون الحقوق فيها متساوية، وهنا لا يجوز غير الحوار .

ولذا اعتبر أن الآية الوحيدة التي تعبِّر بصدق وواقعية عن منهج الإصلاح والتغيير هنا هي : ﴿ **وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾ (الكهف : ٣٤، ٣٧) وهي الكلمة الوحيدة المكررة مرتين في القصة حيث أظهر الكفر عند الحوار، فبادله صاحبه حوارا بحوار .

وهنا لا يصلح بحال أن يستخدم هذا الصاحب التواري والاعتزال والتخفي، كما لا يصلح أن يتجاوز صلاحياته وسلطاته في استخدام القوة في الإصلاح والتغيير، بل لا يجوز غير الحوار .

ويمكن التعبير عن ذلك بالحوار المفتوح مع مؤسسات المجتمع المدني، واستخدام الصلاحيات والفرص القانونية المتاحة بحكم قانون المواطنة، كي يقوم كل إنسان بواجبه في تحسين مجتمعه والارتقاء به من السيئ إلى الحسن ومنه إلى الأحسن، ولعل هذه هي الحالة الأكثر مناسبة للجماعات والتيارات والهيئات الإسلامية في عالمنا الإسلامي، بل وللأقليات المسلمة في الدول غير المسلمة. وإنني أدعو جميع المسلمين في المجتمعات الغربية التي تتاح فيها أكبر مساحة من الحريات والحقوق المدنية أن يبادروا إلى فتح مؤسسات تقوم على فعل الخير ونفع الغير ـ مسلماً أو غير مسلم ـ وتحاور أبناء المجتمع فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وأن يشاركوا بفاعلية كبيرة في بناء مجتمعهم ، تبنى على التعمير لا التدمير، والنفع لا الضر ، والخير لا الشر ، وأن يتركوا جميع الأعمال السرية التي يتبناها بعضهم .

والحق أننا هنا لابد أن نستحضر حالة الحوار التي فتحت بين المسلمين المهاجرين إلى الحبشة والنجاشي ومن حوله ، حيث أسلم وحسن إسلامه ، وأصلح الله به قوماً كثيرين . وأيضا حالة الحوار التي فتحها النبي ﷺ بعد صلح الحديبية مع ملوك الأرض ورؤساء القبائل وقادة العشائر ، مما وسع دائرة الدعوة والقبول لهذا الدين العظيم.

وإعداد النفس لهذه المرحلة من الحوار وتحويل الأعمال السرية إلى مؤسسات عامة تتحاور وتنفع الجميع هذا قطعاً له أساليبه التي تختلف عن منهج: ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ** ﴾ (الكهف: ١٦) أو ﴿ **وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ﴾ (الكهف: ١٩).

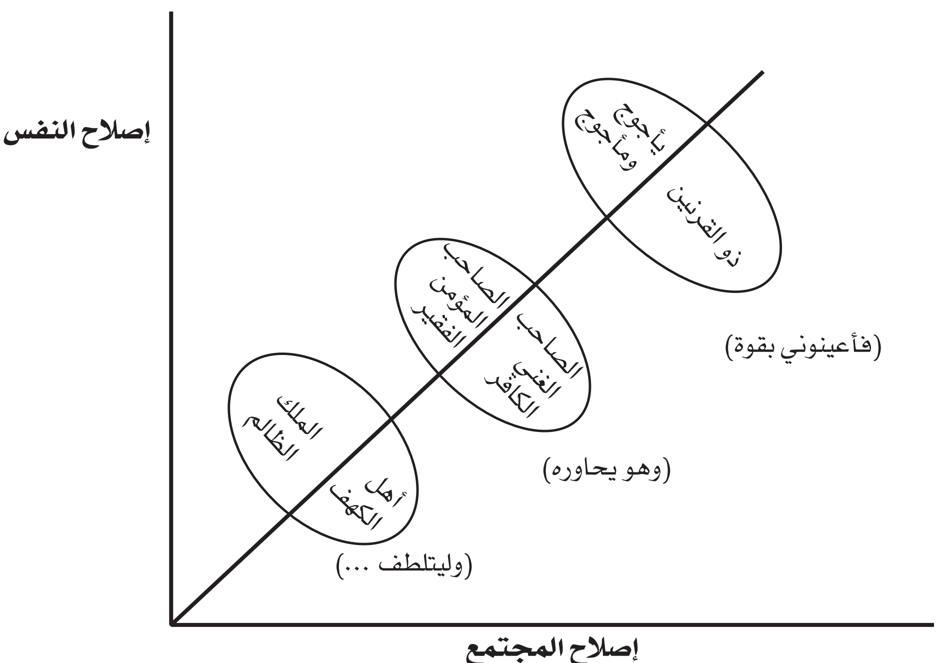
رابعاً : في حالة ذو القرنين وصلت قوة الحق إلى الذروة، حيث قال سبحانه: ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ (الكهف:٨٤)، هنا وجدت كل عناصر القوة والأسباب التي يستطيع بها أن يقدر ما يشاء (وفق المنهج الرباني)، وهنا تتضح الصورة المثالية للملك الصالح حيث: ﴿ **أَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ (الكهف: ٨٩،٩٢) أي استفاد من هذه الإمكانات الهائلة في الأخذ بالأسباب، والنزول إلى الناس في مغرب الشمس ومشرقها وما بين ذلك، ودخل إلى مناطق

الأنهار والبحار والسدود، كي يحقق العدل في هذا الإعلان الواضح: ﴿**أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ (الكهف: ٨٧، ٨٨) وهو أعلى مستويات الإصلاح والتغيير بأكبر الإمكانات المتاحة، واستخدام السلطة القضائية والتنفيذية لإقرار العدل ومكافأة المحسنين الصالحين.

وعندما يشكو قوم من ظلم يأجوج ومأجوج لا يكون الرد هو التلطف وعدم إشعار الناس بهم أو حوارا فقط بل كان المنهج هنا: ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾ (الكهف: ٩٥)، هذه القوة تمثل قوة العلم والمادة، قوة اتخاذ القرار، قوة البناء والعمران، قوة التصنيع والتصدير، قوة الحماية والرعاية، قوة البذل والعطاء، قوة فعل الخير ونفع الغير ومنع الشر، قوة مواجهة الظلم بزبر الحديد والسبائك المعدنية والأسلحة المتنوعة، لأن هاهنا دولة أو مملكة وصلاحيات وسلطات يجب استخدامها في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، ونشر العدل بين الناس كل الناس بصرف النظر عن أديانهم وألوانهم وأجناسهم وقدراتهم بل لأنه إنسان يستحق التكريم كما كرمه الرحمن في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ (الإسراء: ٧٠).

وهذا بالضبط ما فعله النبي ﷺ بعد الهجرة وتأسيس الدولة؛ حيث كان له خطاب مع المارقين مثل قوله بعد غزوة الأحزاب «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا» (البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب: ٢/ ١١١، حلية الأولياء لأبي نعيم، ص٧/ ١٥٠–١٥١)، وقتل مئات من ناكثي العهود والمواثيق من يهود بني قريظة، وعفا عن أهل مكة «اذهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» (البداية والنهاية، صفة دخوله عليه السلام مكة: ٢/ ٢٩٢)، وعفا عن النساء والأولاد الذين أسروا من غزوة حنين، ولم يتصرف كما تفعل دول إسلامية برمتها كأنها جماعة مستضعفة في النظام العالمي الجديد.

ونستطيع استخلاص منهجية التدرج في الإصلاح والتغيير من خلال هذا المنحنى :



النصوص المنهجية في تعامل أصحاب الحق مع أهل الباطل

الشكل (١)

وإذا دققنا النظر في هذا المنحنى الصاعد فلابد من ملاحظة ما يلي :

١ . يجوز لمن يتعرض للقهر والظلم والاعتقال والفصل والعزل والطرد والتشويه للسمعة والأذى في الأهل والمال والولد، يجوز أن يأخذ موقف أصحاب الكهف في منهجية : ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ﴾ (الكهف : ١٩)، ويكون المسئول الأول والحقيقي عن دفع هؤلاء إلى التخفي، واللجوء إلى كهف العمل السري هم هؤلاء الظلمة سواء كانوا أنظمة أو سلطات أو هيئات أو غيرها، ولا يجوز توجيه اللوم لهؤلاء الفتية الذين اختفوا بعد هذا التهديد والوعيد : ﴿ **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ (الكهف : ٢٠) بل يوجه اللوم إلى من وصفهم الشاعر بقوله :

ألقاه في الماء ثم قال له .·. إياك إياك أن تبتل بالماء

ومهما بذلت الأنظمة في تشويههم إعلامياً فإن هذا يضاعف من التعاطف معهم، لأن أي إنسان يتعاطف مع المظلوم سراً أو جهرا، وهذا هو الذي اضطر رسول الله ﷺ إلى أن يأتي إلى دار الأرقم، وتحرك بدعوته بين الأفراد والقبائل سرا، وكان أبو بكر رضي الله عنه يتخفى بصلاته في بيته، وكانت أم أيمن رضي الله عنها تتحرك بين نساء مكة داعية بسرية تامة، وتحسس أبو ذر رضي الله عنه أخبار النبي الجديد فأرسل أخاه، فلم يشف عليله ولم يرو غليله، فذهب بنفسه ورآه علي رضي الله عنه فأخذه إلى دار الأرقم بخطة سرية لا يحس بها أهل مكة، هنا يقع اللوم على كفار مكة وليس على سيدنا محمد ﷺ أو صحبه الكرام .

ولا حل لهذه الحالة سوى إطلاق الحريات ورفع القيود، وتخفيف المعاناة، وإنصاف المظلومين، ورعاية المقهورين، وعودة المفصولين، وإعطاء الحقوق المدنية في الانتخابات والترشيح للموقوفين، وإلا فنحن ندفع بالعمل السري الذي لا يستطيع أحد أن يعرف :

* ما هي الأفكار التي تدرس لأعضاء التنظيم السري؟
* حجم الكراهية للمجتمع والسلطة التي تبث لأعضاء التنظيم؟ لأنهم فعلاً مقهورون!
* ما هي الخطط التي يعدها هؤلاء لإصلاح أو إفساد المجتمع؟
* ما مدى قوة هذا التنظيم عدداً وعدة؟
* ما المتوقع أن يحدث منهم؟
* هل يمكن تصويب الأخطاء ؟
* هل يكون تصحيح المسار من داخل التنظيم أو خارجه؟

وهي مخاطر على الدولة والسلطة الظالمة أن تتحمل مسؤوليتها في تهييج المجتمع، وترويع الآمنين من خلال بعض جماعات العنف التي استساغت العمل السري بسبب قهرهم وظلمهم .

٢ . لا يجوز بأي حال اللجوء إلى العمل السري إذا كانت الحريات متاحة، والحقوق مصانة، وحق الانتخابات والترشيح مكفولا، وحق تكوين الجماعات

والأحزاب والمنظمات والاعتراض والتظاهر والاعتصام ـ بضوابط قانونية تمنع الإفساد في البلد ـ وحق التعليم والتوظيف، والمحاكم العادلة، والإنصاف عند المظلمة، لأن هذه هي حالة قصة الصاحبين، وهنا لا يجوز للأفراد والجماعات والهيئات أن تعتزل وتختفي تحت الأرض أو تظن أنها صارت دولة داخل الدولة، وسلطة داخل السلطة، بل يجب أن تحدد صلاحياتها في حدود أنها جماعة أو هيئة وليست دولة، ولا يجوز هنا تعيين القضاة، وإقامة الحدود داخل الجماعة أو الهيئة، ولا تأمر بالمعروف أو تنهى عن المنكر إلا من خلال نافذة الحوار لأنها هي النهج الوحيد الصحيح، ولابد أن يكون هذا الحوار في أرفع درجات الارتقاء عن السباب والقذف واللعن والاتهام دون أدلة ولعل أرقى مستوى يلتقي عليه المتحاورون هو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ (سبأ: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل: ١٢٥)، وروى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق: ١٦/ ١٢٥).

هذه المرحلة هي التحدي الأكبر للغيورين على الإسلام أن يتأهلوا على النحو التالي:

* دراسة الإسلام بأبعاده كلها العقدية والخلقية والتشريعية في العبادات والمعاملات.
* دراسة المجتمع الذي يتحركون فيه من حيث التاريخ والواقع والتحديات والآلام والآمال، والقوانين ذات العلاقة وعناصر القوة والضعف والفرص والتهديدات.
* دراسة أرقى الوسائل المتنوعة للوصول لجميع شرائح المجتمع.

ويلزم هنا أن يكون هناك سقف واضح وهو عدم جواز استخدام القوة للإصلاح والتغيير مع الأفراد والجماعات والدولة مهماً كان حجم الفساد.

٣ . إذا أتيحت للإنسان سلطة في بيئته وأسرته، أو مدرسته وجامعته، أو مؤسسته وشركته، أو وزارته وهيئته، أو حكومته ودولته، لابد أن يرتقي الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر من دائرة القول إلى العمل، ومن الحوار إلى استخدام القوة والسلطة والصلاحية في الإصلاح والتغيير، ولا نكتفي بالشجب والبيانات والإدانات لأن هذه فقط للجماعات والهيئات، وليست لذوي السلطة والصلاحيات، وهكذا فعل ذو القرنين حيث قال: ﴿ **أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى** ﴾ (الكهف: ٨٧-٨٨)، ومنع ظلم يأجوج ومأجوج بالقوة المتاحة له، ومن هنا كما لا يُقبل بأن توجد جماعات تتعامل كأنها دولة ذات سيادة داخل الدولة، فلا يُقبل أيضاً أن تتعامل الدول مع المظالم العالمية كأنها جماعات مستضعفة في النظام العالمي الجديد.

ولابد هنا من شيء من التفصيل:

* بينما لا يجوز لطالب في الفصل أن يعاقب طالبا أساء إلى طالب آخر، أو أستاذ أو قصر في واجباته، لكن هذا مايجب أن يفعله المدرس أو إدارة الفصل، أو المدرسة عندما يسيء طالب أو أستاذ.

* بينما لا يصح لرجل أن يفرض على امرأة متبرجة في الطريق أو زميلته في العمل لبس الحجاب، فإن هذا واجب على وليها زوجاً أو أباً أو أخاً بأن يقنعها بالحجاب قولاً، وأن يلزمها به فعلاً.

* بينما لا يجوز لطالب أن يمنع طالبة أن تجلس إلى جوار زميلها في احتكاك لايجوز في الفصل الدراسي أو غيره، فإن هذا واجب على الأستاذ المعلم أو مدير المدرسة أو عميد الكلية أو المعهد أو رئيس الجامعة، وإن واجب الطالب فقط هو النصح والإرشاد مثل الصاحبين.

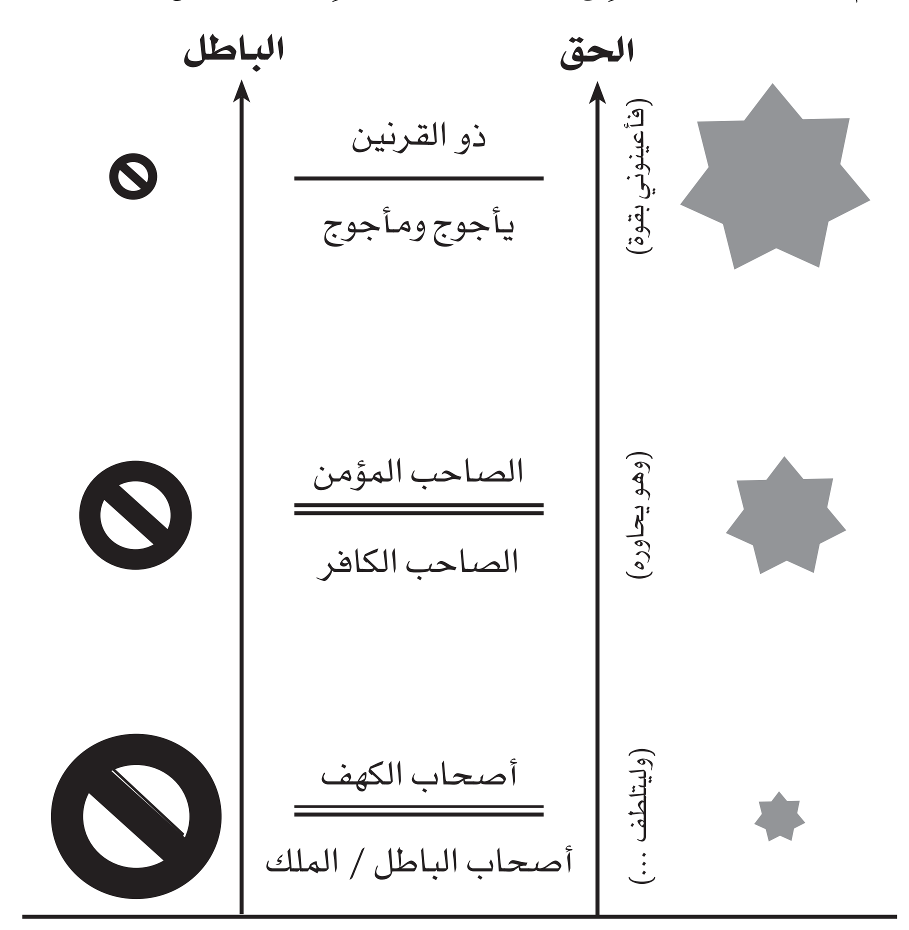
* لا يستطيع الابن سوى نصح أبيه برفق أن يترك الربا والغصب أو السرقة والاختلاس، لكن الأب ملزم بأن يطلب من ابنه ترك الربا أو الغصب أو السرقة.

* يجوز للشركات والهيئات والجماعات أن ينص نظامها الأساسي على حل الخلافات عن طريق التحكيم الشرعي، بينما لا يجوز لهم تنصيب القضاة للفصل في الخصومات، أو تعيين الشرطة لتنفيذ الأحكام لأن هذا مما تختص الدولة به إن

قامت به أُجِرت، وإن لم تفعل أثم القائمون عليها .

هذه بعض أمثلة من واقعنا اليومي تساهم في بيان منهجية التدرج في الإصلاح والتغيير من خلال قصص سورة الكهف .

ولعل هذه الرسومات توضح تغير منهجية الإصلاح وفقاً لموازين القوة، وكيف أن التزام هذه المنهجية يؤدي إلى مضاعفة قوة الحق، وإضعاف الباطل .



(العلاقة بين الحق والباطل عكسية وليست طردية)

الشكل (٢)

المنهجية الثانية
منهجية بعث الأمل مهما كان الألم

في واقعنا المعاصر يطول الحديث عن الألم ويقل الحديث إن لم يندر عن الأمل، مما يورث كثيرا من السامعين في الدروس والخطب والمحاضرات والديوانيات والزيارات مزيدا من اليأس والإحباط، وهذا في الواقع يعني أن جيوشا من اليائسين البائسين سيظلون دائما أسيري هذا الإحباط مما يستحيل معه أي تحرك نحو الإصلاح والتغيير. وإذا جدَّ المصلحون في السير إلى الله تعالى، ثم إصلاح مجتمعهم فإنهم يجب أن يبعثوا الأمل قويًا، نديًا، فياضًا، مستندين إلى هذه الركائز الأربعة السابقة وهي:

١ . قوة الملك التي لا تقهر .

٢ . قوة المنهج الذي لا يتغير .

٣ . تاريخنا الحافل بالانتصارات .

٤ . واقعنا الماثل بالإيجابيات .

ويمكنني أن ألاحظ منهجية بعث الأمل قبل العمل من خلال سورة الكهف فيما يلي :

١ . تبدأ السورة بأعظم رسالة أمل وهي: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۞ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ۞ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ۞ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً**﴾ (الكهف: ١-٤)، قبل أن تتحدث عن الألم؟ ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**﴾ (الكهف: ٦)، ولاشك أن الرسول ﷺ لم يكن يأسى كل هذا الأسى ويحزن كل هذا الحزن الذي عبر عنه القرآن بأنه قد يؤدي إلى مرض قاتل، إلا أنه كان يرى من صنوف البلاء والإعراض عن الله ما يجعله يصل إلى هذه الحالة،

ومع ذلك لم يبدأ القرآن بالألم، بل بدأ بالأمل، بالحمد لله، وأن هذا الحمد يرتكز على هذه الثروة الربانية الكبيرة التي تعين ـ لو وظفناها توظيفاً صحيحاً ـ في استدراك كل ما فات، وعلاج كل داء، وتغيير كل الآفات، هذه الثروة هي الكتاب الذي ليس فيه عوج بل هو «القيِّم» أي مصدر المعايير الصحيحة الراشدة الهادية إلى الأحسن دائماً، ثم إن هذه الآيات جمعت بين النذارة للمشركين والبشارة للمؤمنين في صورة متميزة يمكن أن نلخصها فيما يلي:

* حمدا لله على قوة المنهج القرآني الذي يقاوم العوج ويرسي القيم الربانية .
* أن الله تعالى لا حد لقدرته فهو صاحب البأس الشديد على الكافرين والظالمين، وصاحب الرحمة الواسعة على المؤمنين.

٢ . كل القصص الرئيسية في هذه السورة التي ضمت صراعاً بين الحق والباطل وهي قصة أصحاب الكهف، والصاحبين وذي القرنين، وبدأ الحق ضعيفا مهدَّداً، وانتهى قوياً مسدَّداَ، وهي كبسولة أمل سريعة المفعول كل أسبوع لأنها انتهت كلها بالفلاح والنجاح لأصحاب الحق، والخسران والبوار للكافرين المعتدين على النحو التالي :

(أ) قصة أصحاب الكهف مع التهديد الذي حدث لهم في حياتهم أولاً حافظوا على دينهم في أنفسهم فلم يفتنوا، وآمن بسببهم قوم لا حصر لهم منذ عثروا عليهم بعد ٣٠٩ سنة، ونحن من بعد تسجيل القرآن لسيرتهم مازلنا عبر كل زمان ومكان يتلى فيه القرآن يشع هؤلاء نوراً جديدا في حياة كل مسلم منذ نزلت سورة الكهف حتى قيام الساعة، فأي نجاح أعظم من هذا النجاح، وأي فلاح أكبر من ذلك .

(ب) قصة الصاحبين، أظهرت قوة اعتزاز الصاحب المؤمن بصلته بالله تعالى: ﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾ (الكهف : ٣٨)، وفي الوقت نفسه أنذر صاحبه المشرك بالبوار لحديقته، وقد استجاب الله دعاءه، فكانت العبرة لكل من يعتز بغير الله تعالى: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ** ﴾ (الكهف:٤٢)، وحدث الندم الشديد: ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا**

أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف : ٤٢) وقال : ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾ (الكهف : ٤٢) . إذن هذه هي نتيجة الاستكبار في الأرض بالعرض الزائل من مال أو ولد أو منصب، لتكون قصة أمل دائمة لأصحاب الحق أن الله تعالى هو الذي بيده مفاتيح الخير، وهو وحده النافع الضار، المعز المذل، القابض الباسط .

(ج) قصة ذي القرنين في آخر السورة تؤكد معنى أن آخر طريق الدعوة والدعاة هو التمكين، وأنه يجب أن تكون عندهم أسباب القوة بحيث يستطيعون مواجهة الظالمين أفراداً و جماعات أوعصابات، كما حدث مع أهل المغرب وبين السدين، وقد تمثلت قصة النجاح في المنع الكامل لهذا الظلم من يأجوج ومأجوج حيث نص القرآن على أنهم : ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً** ﴾ (الكهف : ٩٧)، وهذا يعني أن آخر مشوار الدعوة بالحسنى هو العز والتمكين، والقدرة على ردع الظالمين ومنعهم من استضعاف الآخرين، ونهب ثروات المساكين

٣ . في السورة أيضاً ثلاث صور من السلطة، يأتي تسلسلها درساً عميقاً مؤثراً في الأمل، ويتضح ذلك فيما يلي :

* السلطة الأولى : الملك الظالم الذي هدد أصحاب الكهف بالقتل رجماً إن لم يعودوا عن دينهم، ويلتزموا عبادته دون ربهم، وهو يمثل « السلطة الدكتاتورية » أي الاستبداد السياسي .
* السلطة الثانية : هي الملك الغاصب في قصة سيدنا موسى والخضر، وهو يمثل قمة الفساد المالي حيث إنه : ﴿ **مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً** ﴾ (الكهف : ٧٩)، ولا يهمه فقر هؤلاء المساكين الذين يكدحون في الأعمال البحرية، لكن الملك ـ في القصة ـ لا يترك نقيراً ولا قطميراً إلا استولى عليه ظلماً وعدوانا .
* السلطة الأخيرة : هي سلطة الملك العادل ذو القرنين، وهي تخلو من الاستبداد السياسي أو الفساد المالي، وهذا يبدو من عدم القهر للمحسن، وترك المسيء

يفعل ما شاء، بل منهجه كما قال تعالى: ﴿ **أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً** ﴾ (الكهف: ٨٧–٨٨)، وعندما وجدت مظلمة لقوم بين السدين، وعرضوا مالاً باختيارهم لإقامة السد كانت أعظم صور التعفف عن أموال الفقراء والمقهورين حيث قال تعالى: ﴿ **مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً** ﴾ (الكهف: ٩٥).

مجيء هذه القصة تعني أن هناك أملاً كبيراً لدى أصحاب الدعوة إلى الله أن ينهي الله على أيديهم أمرين:

أ – الاستبداد السياسي مثل ملك أصحاب الكهف.

ب – الفساد المالي مثل الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا.

وستنتهي الأمور إن شاء الله إلى حاكم عادل عفيف، إن صدقنا الله تعالى في الأمل والعمل الذي لا يفتر مهما اشتدت ظلمات الباطل.

٤. من أكبر روافد الأمل في سورة الكهف هو ما استوقفني كثيراً من تكرار الحديث عن الرحمة في كل فقرات السورة، حيث ذكرت الرحمة وهي أوسع أبواب الأمل سبع مرات ترتيبها كما يلي:

(١) ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً** ﴾ (الكهف: ١٠).

(٢) ﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً** ﴾ (الكهف: ١٦).

(٣) ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ** ﴾ (الكهف: ٥٨).

(٤) ﴿ **فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً** ﴾ (الكهف: ٦٥).

(٥) ﴿ **فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً** ﴾ (الكهف: ٨١).

(٦) ﴿ **فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ (الكهف : ٨٢) .

(٧) ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي** ﴾ (الكهف : ٩٨) .

وإذا أردنا أن نقف على عمق الأمل في الآيات فإننا سنجد أول موضع هو أن ضيق الحياة وتهديد الطغاة لأصحاب الكهف جعلهم يدعون الله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً** ﴾ (الكهف : ١٠)، فكان الجواب من الله سخياً نديا وخيراً كثيراً من الربط على قلوبهم تثبيتا، وهدايتهم إلى التلطف وعدم المواجهة، والإيواء إلى الكهف : ﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً** ﴾ (الكهف : ١٦)، وحرك الله الشمس لتحفظهم، والأجساد تتقلب، والكلب يحرس، وأخيراً يبعثهم لتصل رسالتهم إلى قوم آخرين ويؤمنون بما آمنو به .

أما الموضع الثالث فهو يتحدث عن سعة رحمته سبحانه لكل الخلق فهو الغفور ذو الرحمة، فيرحم ويغفر ويتأنى على عباده، فلا يباغتهم بالعذاب لكل ذنب، لكنه أجل ذلك لموعد لا مناص منه ولا مفر لظالم عنه .

فإذا جئنا إلى قصة سيدنا موسى والخضر فسنجدها مفعمة بالأمل من خلال ذكر الرحمة ثلاث مرات، أولها : أن الخضر ممن آتاه الله رحمة والعلم من لدن الرحمن الرحيم، وهو يختم القصة بأن كل أحداثها هي نسمات متدفقة من الرحمة الربانية ﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾، وما بينهما يبين أن الولد الذي ينتظر أن يكون بديلاً للأبوين المؤمنين هو من يصل الرحم ويتصف بصفة الرحمة بوالديه وأقاربه .

وفي آخر السورة تأتي الرحمة على لسان ذي القرنين بأن ماوفقه الله إليه من بناء السد معهم ولهم هو فيض رحمة من الله تعالى، وليس من سلطانه ومعارفه ومتابعاته

كما يفتن الكثير بعلمهم وسلطتهم، بل هو رحمة من الله تعالى، وهو ما يوضح معيار الأمل لدى كل مسلم أن الله هو الرحمن الرحيم، البر اللطيف بعباده، فيرسل لهم من أسباب الرحمة ما يمنع عنهم مظالم شتى، ويهيئ لهم من رحمته أمناً على معاشهم، وعليهم أن يستعدوا لرحمات الله في الآخرة بفعل الخير ونفع الغير .

المنهجية الثالثة

الوصف الدقيق والتحليل العميق والحلول المناسبة

يغرم الكثير من الكتاب والباحثين والصحفيين والخطباء والأئمة بوصف الواقع دون تحليله أو وضع حلول مناسبة لأزماته، فيخرج الناس من بين أيديهم وقد ازدادوا يقينا بفساد واقعهم، لكنهم ينقلبون إلى تيار بائس يائس من التغيير والإصلاح والوصول إلى النجاح والفلاح. وإذا أنعم الله على عبد مصلح بأن يجمع بين الوصف الدقيق الذي يفرق بين الحالة والظاهرة، والتحليل العميق الذي يفرق بين الأسباب الوهمية والحقيقية، ويقدم الحلول المناسبة لكل بيئة ومناخ، وإمكانات وقدرات، فإنه فعلاً سيكون المصلح الرباني الذي يجعل الله على يديه مفاتيح التغيير، واستطيع أن أسمي هذه المنهجية «منهجية الطبيب» حيث يبدأ مع المريض بالكشف السريري وإجراء الفحوصات والإشاعات وتحاليل عديدة لينتهي إلى اكتشاف المرض والعرض، وهذا كله منهج وصفي، ثم يبدأ بالمنهج التحليلي ليحدد أسباب المرض والعرض، وأخيراً يقوم بوصف العلاج المناسب للعرض والمرض معا، ولا يكتفي بعلاج العرض دون المرض، وهذا بالضبط ما يجب اتباعه في تناول أية مشكلة خاصة بالإنسان في نفسه، أو أسرته أو مجتمعه أو دولته، وإلا كنا كمن يذهب للطبيب فيكتشف الداء ولا يصف له الدواء.

والحق أنني وجدت هذه المنهجية واضحة في القصص الثلاث التي فيها صراع بين الحق والباطل، سنجد هذه المنهجية ذات الأبعاد الثلاثة كما يلي :

أولاً : قصة أصحاب الكهف:	
الوصف الدقيق:	* ﴿إنهم فتيةٌ آمنُوا بربِّهمْ﴾ (١٨). * ﴿هؤُلاء قَوْمُنا اتَّخذُوا من دُونه آلهَةً﴾ (١٥). * ﴿إنَّهُمْ إن يظْهرُوا عليْكُم يرْجُمُوكُمْ أوْ يُعيدُوكُمْ في ملَّتهمْ ولَن تُفْلحُوا إذًا أبدًا﴾ (٢٠). * ﴿ولَبثُوا في كَهْفهمْ ثلاث مائة سنين وازْدادُوا تسْعًا﴾ (٢٥).
التحليل العميق:	* ﴿لَّوْلا يأْتُون عليْهم بسُلْطَانٍ بيِّنٍ﴾ (١٥). * ﴿فمَنْ أظْلَمُ ممَّن افْتَرَى علَى اللَّه كَذبًا﴾ (١٥).
الحلول المناسبة:	* ﴿ولْيتَلَطَّفْ ولا يُشْعرنَّ بكُمْ أحدًا﴾ (١٩).
ثانياً : قصة الصاحبين:	
الوصف الدقيق:	* ﴿واضْربْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْن جعَلْنا لأحدهما جنَّتَيْن منْ أعْنابٍ وحَفَفْناهُما بنخْلٍ وجعَلْنا بيْنهُما زرْعًا * كلْتا الْجنَّتَيْن آتتْ أُكُلَها ولَمْ تَظْلم منْهُ شيْئًا وفَجَّرْنا خلالَهُما نهرًا * وكَان لهُ ثَمرٌ فقَال لصاحبه وهُو يُحاورُهُ أنا أكْثَرُ منك مالا وأعزُّ نفرًا﴾ (٣٢-٣٤). * ﴿قَال ما أظُنُّ أن تبيد هذه أبدًا * وما أظُنُّ السَّاعة قائمةً ولَئن رُّددتُّ إلَى ربِّي لأجدنَّ خيْرًا مِّنْها مُنقلَبًا﴾ (٣٥-٣٦).
التحليل العميق:	* ﴿ودخَل جنَّتَهُ وهُو ظَالمٌ لِّنَفْسه﴾ (٣٥). * ﴿لَّكنَّا هُو اللَّهُ ربِّي ولا أُشْركُ بربِّي أحدًا﴾ (٣٨).
الحلول المناسبة:	* ﴿ولَوْلا إذْ دخَلْت جنَّتَك قُلْت ما شاء اللَّهُ لا قُوَّة إلا باللَّه إن تُرن أنا أقَلَّ منك مالا وولَدًا﴾ (٣٩). * ﴿فعَسى ربِّي أن يُؤْتين خيْرًا مِّن جنَّتك ويُرْسل عليْها حُسْبانًا مِّن السَّماء فتُصْبح صعيدًا زلَقًا﴾ (٤٠). * ﴿أوْ يُصْبح ماؤُها غوْرًا فلَن تسْتَطيع لهُ طَلَبًا﴾ (٤١).

ثالثاً : ذو القرنين:	
الوصف الدقيق:	* ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ (٨٤). * ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٥-٨٦). * ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٨٩-٩١). * ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٢-٩٤).
التحليل العميق:	* ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨).
الحلول المناسبة:	* ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٨٧، ٨٨). * ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٥-٩٧).

المنهجية الرابعة
البحث فيما تحته عمل فقط

منهج القرآن والسنة هو لفت الأنظار عن التنظير والتجريد، إلى التأصيل والعمل، وأن ما ليس تحته عمل لا يكترث له كثيراً، ومن الشواهد على ذلك من القرآن والسنة ما يلي :

١ . ورد في سبب نزول الآية : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّة قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(البقرة : ١٨٩)، أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا : « يا رسول الله ما بال الهلال يبدو رقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ فنزلت ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّة** ﴾ (الكشاف للزيعلي، ص ١ / ١١٨)، فصرف الإجابة إلى العمل.

٢ . وقد طبق عمر رضي الله عنه هذا المبدأ عندما ظل حتى وفاته يتحرى معنى الكلالة في سورة النساء لأنها آية تترتب عليها معرفة تقسيم المواريث عملياً، بل قال قبل موته « إني لم أدع شيئا هو أهم إليّ من الكلالة، وما راجعت رسول الله ﷺ مثلما راجعته في الكلالة »(الطبقات الكبرى، لابن سعد : ٣ / ٣٤٣ – الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي : ١ / ٦٠).

أما عندما قرأ سيدنا عمر رضي الله عنه سورة عبس ووقف عند قوله تعالى : ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبّاً** ﴾ (عبس : ٣١) فإنه سأل نفسه أول الأمر : « هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبْ؟! ثم عاد سريعاً إلى منهج البحث الصحيح فقال : ويلك، إن هذا لهو التكلف يا ابن أم عمر، ماذا لو لم تعرف ما الأبْ؟ (تفسير القرطبي : ١٩ / ٢٢٠)، « الفاكهة » هي طعام الناس، « والأبْ » هو طعام المواشي، فلا عليه إذا لم يعرف معنى « الأبْ » حيث ليس تحتها أي جانب عملي مفيد .

وهذا ما نبه إليه سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في الخلاف بين سيدنا علي رضي الله عنه ومعاوية حيث قال: «هذه فتنة طهر الله منها أيدينا، أفلا نتطهر منها ألسنتنا؟!»، خاصة أن كلاً قد أفضى إلى ربه وكافأه أو حاسبه على ما فعل، وليس تحت بحث الخلاف من عمل سوى مزيد من الفرقة والشقاق والتمزق والخلاف.

ولذا فيبدو لي أن هناك أقوالاً في تفسير سورة الكهف امتلأت بها بعض كتب المفسرين تخرج بنا عن هذا الهدف الكبير، رغم توجيه الآيات في صدورها: ﴿**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**﴾ (الكهف: ٥)، ﴿**لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾ (الكهف: ١٥)، ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ (الكهف: ٢٢).

ومع هذا النهي الصريح عن المراء، وعدم الاستفتاء فيما ليس تحته عمل، فإن هناك صوراً من الاستهواء للبحث في تفاصيل غير مفيدة عملياً، وعدم الالتزام بهذه المنهجية (البحث فيما تحته عمل فقط) ومن صور الإغراق في القضايا النظرية ما يلي:

١. هناك روايات تفننت في تحديد اسم الملك الذي هدد الفتية بالقتل رجما فاضطرهم إلى الإيواء إلى الكهف حيث وردت روايات أنه اسمه: دقيانوس وأقسوس وطرسوس، ولا يوجد دليل من أثر صحيح على ذلك، ولا أدري لماذا أصروا على أسماء لا يجمعها إلا «وس» في آخر كل اسم؟!.

٢. وردت روايات في كتب التفسير عن اسم الكلب أنه حمران أو قطمير أو لكسلمينا، وهو مالا يفيد شيئا ولا دليل يصح في ذلك.

٣. ذكروا نوع الطعام: ﴿**أَزْكَى طَعَامًا**﴾ (الكهف: ١٩)، أنه البر أو التمر، أو الأرز أو الزيت، أو أطيبه أو أرخصه، وهو يناقض منهج التفويض المطلق في الإدارة، حيث تركوا له حرية الاختيار لأزكاه طعماً، وأطيبه صحة.

٤ . اختلف في الصاحبين هل هما أخوان مخزوميان من مكة: الأسد بن عبد الأسد، وأبو سلمة، أو النبي ﷺ وأهل مكة وقيل: صاحبان من بني إسرائيل اسمهما:(يهوذا وقرطوس)، وقيل: شريكان في مال انفصلا، فتصدق أحدهم بحصته، وبغى الآخر ماله، ونكح عددا من النساء، وأنجب كثيرا، وهي كلها خيالات لا تسمن ولا تغني من جوع، ومن أبعد الأقوال تصوراً أن الصاحبين هما النبي ﷺ وأهل مكة؛ لأن مكة أولاً لم يكن بها جنات وزروع وأنهار، ثم إن القرآن يتحدث عن صاحب واحد، وليس أهل مكة جميعا، لكنه الإغراق الذي فتن به بعض المفسرين .

٥ . أورد بعض المفسرين روايات عن موضوع مجمع البحرين، حتى كادوا أن يذكروا كل مكان في العالم فيه التقاء بحرين ومن ذلك :

(أ) التقاء بحر فارس والروم .

(ب) التقاء بحر فارس وخراسان .

(ج) التقاء بحر الأردن والقلزم .

(د) التقاء البحرين في القلزم .

(هـ) التقاء البحرين في طنجة .

(و) التقاء البحرين في أفريقيا .

(ز) التقاء البحرين في أرمينية .

(ح) التقاء البحرين في الأندلس .

(ط) البحران هما موسى والخضر .

والأخير يدل على الإفلاس الحقيقي إذ كيف يبحث سيدنا موسى عن نفسه وهو القائل: ﴿ **لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ (الكهف: ٦٠).

٦ . اختلف أيضا في القرية البخيلة التي لم تطعم سيدنا موسى والخضر فقيل في الأبله، وقيل: في أنطاكية «الأندلس»، وقيل: في «باجروان» بأذربيجان، وقيل: من قرى الروم .

٧ . ومن الإسهاب فيما ليس تحته عمل، ما ورد في طول الجدار وعرضه وارتفاعه مما لا يتصوره عاقل!.

٨ . وردت روايات عن مكان الكهف فقيل هو في بلاد الروم، وقيل في بلاد الشام، وقيل في بلاد الأندلس.

٩ . واختلف في زمن القصة هل كانت قبل زمن سيدنا موسى أو سيدنا عيسى؟، بما لا يغني شيئاً! .

١٠ . واختلف في اسم الغلام المقتول هل هو جيسور أم حيسور أو ميسون، وهذه المرة تشترك الأسماء الثلاثة في «سو» عكس ما قدم من اسم الملك حيث ورد فيها جميعاً «وس»! .

١١ . واختلف في نوع الكنز هل هو مال كثير، أم علم غزير، أو لوح مكتوب عليه مواعظ والشهادتين، وهو تفنن لا أصل له ولا دليل عليه، فالكنز بين مع قوم بخلاء، منعوا الإطعام؛ ويُخشى من أمثالهم على المال لا العلم أو الألواح أو فما حاجة البخيل إلى العلم؟! .

١٢ . كما اختلف في اسم الغلام، واختلف في اسم أبيه وأمه في روايات ما أنزل الله بها من سلطان! .

١٣ . واختلف في اسم سيدنا الخضر فقيل هو أبليا بن ملكان، وقيل هو عاميل بن سماقحين .

١٤ . واختلف في اسم ذو القرنين وأصله فقيل:

(أ) هو مصري اسمه مرزبان بن مروبه .

(ب) هو الإسكندر .

(ج) اسمه هرمس .

(د) اسمه هرديس .

(هـ) اسمه الصعب بن ذي يزن .

(و) اسمه أفريدون .

١٥ . واختلف أيضاً في زمانه فقيل قبل بعثة سيدنا موسى، وقيل بعد، وقيل:

بعد بعثة سيدنا عيسى، وقيل كان وقت سيدنا إبراهيم وإسماعيل، وقيل كان مع الخضر في زمانه، وكان الخضر صاحب لوائه الأعظم .

١٦ . واختلف في أسماء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا، فقيل : ناسك ومنسك، وهاديل وتاديل، وقيل عنهم إن أذنهم كانت كبيرة حيث يفترش أحدهم أذناً ينام عليها ويتغطى بالأخرى فكيف يمشي أمثال هؤلاء، هل يحمل كل أذن بإحدى يديه؟!!.

١٧ . وقيل في يأجوج ومأجوج الكثير وأنهم ينجبون ألفاً من الذكور وألفاً من الإناث .

ماذا تعني هذه الأقوال في ميزان الفوائد التربوية والدعوية لإصلاح النفس والمجتمع ؟!

وهل في هذا التفنن في عرض روايات لا أصل لها، ولا دليل عليها إلا صرفاً للقارئ عن واجباته نحو نفسه ومجتمعه ؟!

وهل يتوافق هذا مع كون القرآن كتاب هداية وليس عرضاً لروايات تاريخية ؟!

هل يغني هذا شيئاً في علاج واقع مرير لأمتنا الإسلامية في التخلف العلمي والحضاري والتكنولوجي؟! أم يجب أن تبقى السورة دافعة للأمة للسعي الحثيث من الاستضعاف إلى الحوار ثم الاستخلاف، ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الأثرة إلى فعل الخير ونفع الغير .

نحن في مسيس الحاجة إلى تنمية كل فكرة تنتج إيمانا وعملاً صالحاً، وإصلاحا لعالمنا كله شرقه وغربه، وبين السدين كما فعل ذو القرنين في نهاية السورة .

وأختم بقصة تتكرر في مراكز الأبحاث والأقسام العلمية في الجامعات العربية والإسلامية التي تقدم الأبحاث للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه والترقيات، وهم كم هائل وكبير يمكن أن يصلح الأمة في أقل من عقد من الزمان لو اتجه البحث العلمي للوجهة الصحيحة للبحث فيما تحته عمل، وليس فيما تحته ثمن (ترقية ـ مرتبات ـ مكافآت ـ مؤتمرات ـ ندوات ـ . . . .) .

القصة كانت في دار الكتب المصرية سنة ١٩٨٧ م حيث جلست على الطاولة للمذاكرة والبحث وجاء شاب وجلس على الطاولة نفسها، فتعرفت عليه، ومن عاداتنا أن يذكر كل لأخيه موضوع بحثه لعل عنده كتاباً أو فكرة أو . . . . فسألت

صديقي الجديد عن موضوع رسالته للدكتوراه الذي قطع فيه أربع سنوات من البحث والتحري ليلاً ونهاراً فقال : أحكام تحرير العبيد في الإسلام، فسألته : من هم العبيد في بحثك؟ فقال: هو تعريف الفقهاء نفسه؟! ألست متخصصا كما ذكرت في الفقه والأصول؟! قلت: نعم، ولكن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٧م أنهى قضية الرق والعبودية ولم تبق منه إلا صور نادرة، وليست ظاهرة، فأنكر عليَّ استغرابي في البحث في أمر تاريخي، ولم يعد له أثر، فاستدركت عليه وقلت : لو قصدت « أحكام تحرير العبيد في الإسلام » أي تحرير أمة الإسلام كلها من العبودية بالجملة لأعدائها في السياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام والعادات الاجتماعية و..... لكان لبحثك قيمة عملية، وآثار إصلاحية، وربما حسنات ربانية لا حصر لها إن شاء الله، ولكن الباحث لم يعجبه هذا الطرح الذي يقوض المنهج من أعماقه، ولو كان شجاعاً لانتصف من نفسه لأمته، ولكن انحاز إلى نفسه ليستمر في بحث ينال به خطوة ودرجة علمية فارغة من المضمون العملي .

وعندما أرى حجم الإلحاح على قضية الإسبال للثوب ـ رغم ما ورد من أقوال الفقهاء والأصوليين في حمل المطلق على المقيد في أن الإسبال المحرم هو المقترن بالعجب والخيلاء ـ أو الأكل على الأرض بدون ملاعق ـ رغم مايبدو يقيناً أنها سنة فعلية أو عادة اجتماعية تفيد الإباحة فقط ـ، أجدني أبحث عن شيء آخر هو « كيف نأكل مما نزرع و نلبس مما نصنع؟!!! » وهو مما لا أشك اليوم في وجوبه مع ارتباط الطعام وإنتاج الأساسيات بالحريات السياسية والاقتصادية كما عبر عنها بوضوح فضيلة الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ بقوله: (من لم يكن طعامه من فأسه فلن يكون قراره من رأسه).

٤ . ولذا فإنني أتوجه بأعلى نداء ، وأخلص رجاء ، وأرقى دعاء لإخواني الباحثين والباحثات، والمحاضرين والمحاضرات، والمتحدثين والمتحدثات، والخطباء من ذوي الغيرة على واقع الأمة ، لا تدخلوا في بحث ليس تحته عمل، ولا تنشئوا خطبة فيها معلومات تجريدية ليس تحتها عمل ؛ فهذا كله قد ينتهي بنا إلى الانتقال من العمل إلى الجدل ، ومن الإبداع إلى الكسل ، ومن الإقدام إلى التراجع والخور ، ومن الإنتاج إلى الاستهلاك ، وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه بسنده أن الرسول ﷺ قال: « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ » (سنن ابن ماجه ، باب اجتناب البدع والجدل، ١ / ١٩).

المنهجية الخامسة
منهجية الارتقاء إلى الأحسن وليس للحسن فقط

لقد شدني في هذه السورة استعمال صيغة « أفعل التفضيل » عشرين مرة هي على الترتيب مايلي :

* ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (٧) .
* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ (١٢) .
* ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ (١٥) .
* ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾(١٩) .
* ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾(١٩) .
* ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾(٢١) .
* ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (٢٢) .
* ﴿ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾ (٢٤) .
* ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٢٦) .
* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠) .
* ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (٣٤) .
* ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً ﴾ (٣٦) .
* ﴿ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴾ (٣٩) .
* ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ ﴾(٤٠) .

ولقد تدبرت كثيراً في هذه المعاني التي ألحت عليها الآيات في هذه السورة، وبدا لي من فضل الله ومنته من المعاني ما يلي :

لا يسعى الإسلام من خلال القرآن والسنة إلى نقل الإنسان من أسفل سافلين إلى الطريق القويم، بل إلى أحسن تقويم، ولا يأمره أن ينتقل من فعل السيئ إلى الحسن

بل إلى الأحسن، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** ﴾ (الكهف: ٣٠)، لم يقل ربنا: لا نضيع أجر من «يُحسن» عملاً بل «الأحسن»، ولا يأمر القرآن الكريم بأن نتجنب الكلام السيئ إلى الحسن بل إلى القول الأحسن لقوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (الإسراء: ٥٣)، ولا يأمر الإنسان أن يكون حسن الاتباع للقرآن والسنة وإنما يأمر بالاتباع الأحسن لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾ (الزمر: ١٨)، وينتشل الإسلام المسلم أن يكون نموذجاً سيئاً ليكون النموذج الأحسن لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (الأنعام: ١٤)، فإن لم يكن كذلك فلابد أن يخطط لا ليصل إلى المسلم الحسن فقط بل الأحسن، ويتضح هذا التخطيط المستقبلي في قوله تعالى: ﴿ **وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (الزمر: ١٢)، والفرق بين الآيتين أن الأولى تعبر عن واقع: ﴿ **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** ﴾ فعلاً، والثانية سعى للوصول إلى ذلك: ﴿ **لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾، وقد أكدت السنة على هذا المعنى في نصوص كثيرة ما رواه الترمذي بسنده عن جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً، وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يا رسولَ الله قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارِينَ وَالْمُتَشَدِّقِينَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟! قال: «الْمُتَكَبِّرُونَ» (سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق: ٦/١٢٦)، وما رواه البخاري بسنده عن النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» (صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش، حديث رقم: ٦٩٨٧)، وهي تعني رفع سقف الأمل والعمل إلى أعلى درجة يستطيعها الإنسان، ويرجو من الله أعلى منزلة في الجنة، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك أيضا بقوله: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (جامع المسانيد والمراسيل لجلال الدين السيوطي، الهمزة مع النون، ٢/٣٠٧).

وإذا جئنا من هذا الأصل العام «السعي للأحسن دائماً» إلى التفصيل الخاص في صيغ أفعل التفضيل في سورة الكهف فإنني ألاحظ ما يلي:

(١) أن أربعاً من مواضع أفعال التفضيل في السورة تتعلق بعلم الله تعالى : ﴿ **رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ** ﴾ (الكهف : ٢١)، ﴿ **قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم** ﴾ (الكهف : ٢٢)، ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ (الكهف : ٢٦)، وفي آخر السورة بيان أن بحار الأرض لو كانت مداداً وشجرها أقلاماً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله للدلالة على العلم الأوسع والأرقى : ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ (يوسف : ٧٦)، فهو سبحانه : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ (الأنعام : ٥٩)، ومن أحب الله تعالى اتجه بقوة إلى صفاته العليا ومنها العلم، فهل بعد هذا يدع المسلم أو المسلمة أية فرصة في العلم والتعلم والبحث والتفوق؟! هل يرجو أي طالب مسلم أو طالبة مسلمة غير درجة الامتياز في مدرسته أو جامعته ؟! هل يُقبل إلا أن يكون في الصدارة في براءات الاختراع، والتجديد والإبداع ؟! هل من المقبول أن يكون المسلمون اليوم – في عمومهم – صورة عكسية لهذا المنهج الرباني حيث تشير آلام الواقع إلى أننا الأمة الأعلى أمية في العالم كله، وهذه بعض الإحصاءات الصادرة من هيئة الأمم المتحدة (التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، ٢٠٠٦، منشورات اليونسكو، www.uis.unesco.org).

	عدد الأميين (بالآلاف)		معدلات محو الأمية (٪)	
	١٩٩٠	٢٠٠٠ – ٢٠٠٤	١٩٩٠	٢٠٠٠ – ٢٠٠٤
العالم	٧٥,٤	٨١,٩	٧٥,٤	٨١,٩
البلدان النامية	٦٧,٠	٧٦,٤	٦٧,٠	٧٦,٤
البلدان المتقدمة	٩٨,٠	٩٨,٧	٩٨,٠	٩٨,٧
البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية	٩٩,٢	٩٩,٤	٩٩,٢	٩٩,٤
إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى	٤٩,٩	٥٩,٧	٤٩,٩	٥٩,٧
الدول العربية	٥٠,٠	٦٢,٧	٥٠,٠	٦٢,٧
آسيا الوسطى	٩٨,٧	٩٩,٢	٩٨,٧	٩٩,٢
شرق آسيا والمحيط الهادي	٨١,٨	٩١,٤	٨١,٨	٩١,٤
جنوب وغرب آسيا	٤٧,٥	٥٨,٦	٤٧,٥	٥٨,٦
أمريكا اللاتينية والكاريبي	٨٥,٠	٨٩,٧	٨٥,٠	٨٩,٧
أوروبا الوسطى والشرقية	٩٦,٢	٩٧,٤	٩٦,٢	٩٧,٤
أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية	٩٧,٩	٩٨,٧	٩٧,٩	٩٨,٧

أعتقد أنه إذا وقعت الآيات منا موقعاً صحيحاً فيجب أن نكون أول من يثور على الجهل والأمية كما أمرنا القرآن الكريم وحثتنا السنة النبوية، وهاهي كوبا تعلن أن الثورة هي التربية، والتربية هي الثورة، فتراجعت نسبة الأمية في عام واحد من ٢٤ ٪ إلى ٤ ٪ وتقل نسب الأمية عن ١٪ في الاتحاد السوفيتي والسويد وانجلترا، ونيوزلاند، بينما لازلنا نحمل لقب «أجهل» أمة في القرن الحادي والعشرين! .

(٢) من استعمال أفعال التفضيل، في الآية: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً**﴾ (الكهف:١٢) حيث تشير الآية إلى الاهتمام بعلم الإحصاء الذي يعرف الباحثين وأصحاب القرار على الوصف الدقيق، كي ينتقلوا منها إلى التحليل العميق ثم الحلول المناسبة، فبغير الإحصاء تبقى ضبابية في اتخاذ القرار، حيث قد تعالج حالة شاذة، وتترك ظاهرة مرضية خطيرة، وقد يتورم الصغير، وينخسف الكبير، فبدون علم الإحصاء الأدق «أحصى» تهتز الرؤية، وتنحرف القرارات عن صوابها لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

(٣) هناك موضعان عن أظلم عباد الله وهما فريقان :

* **الفريق الأول**: فريق علم الحق لكنه حرفه وبدله وغيره عمداً كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِباً**﴾ (الكهف:١٥)، ولا أدري كم سيحمل الأحبار والرهبان الذين اجترؤوا على الله تعالى وحرفوا التوراة والإنجيل تحريفات لا تخفى على لبيب، ولا تغيب عن حصيف، ولذا يقول ربنا تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّه ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ من بَعْد مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم به عند رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّه لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ (البقرة:٧٥-٧٩)، والأمر الذي يبعث في النفس مرارة هو هؤلاء المسلمون ممن يسمون علماء الأمة الذين

يتشددون فيحرمون الحلال افتراءً على الله، أو يتحللون فيحلون الحرام وهؤلاء يفاجئهم الله تعالى بهذا الإنذار الشديد: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ** ﴾(يونس:٥٩، ٦٠)، وإذا كانت فتوى العلماء ينسب الحكم فيها إلى الله تعالى في الحل والحرمة والوجوب والندب والكراهية فإنهم كما عنون ابن القيم كتابه: «إعلام الموقّعين عن رب العالمين» أي هؤلاء يوقعون عن الله تعالى في الاجتهادات الفقهية، فلابد أن تخفق قلوبهم خوفا وفرقا أن يوقّعوا عنه مالم يقله، أو تشير إليه الآيات أوالنصوص الشرعية ومقاصدها الفقهية، أو أحاديث نبيه ﷺ وإلى هؤلاء يتوجه الخطاب في سورة الكهف .

* **الفريق الثاني:** فريق سمع الحق فعلاً فأعرض عنه، ولعلهم عموم الأمة (وهم فريق القواعد الشعبية) حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً** ﴾ (الكهف : ٥٧)، فكأن الآيتين وجهتا القيادات الدينية والقواعد الشعبية إلى تحري الصدق مع الله تعالى فيما نعلمه، أن نحسن الاتباع للأحسن وليس فقط للحسن، وأن نبتعد عن الكذب عليه أو الإعراض عنه .

(٤) هناك ارتقاء في الذوق الخاص عند إشباع الجانب الجسدي من الطعام، فليس الإنسان حيوانا بل هو إنسان يحس ويشعر ويتذوق، وهنا عندما يقوم أصحاب الكهف من نومهم الطويل جداً يبحثون عن : ﴿ **أَزْكَى طَعَاماً** ﴾ (الكهف: ١٩)، وليس أي طعام، وهو يعني أنهم أصحاب ذوق رفيع في اختيار طعامهم، والناس أمام الطعام نوعان :

* «أكول» مهمته الكمية لا الذوق والطعم «والنَفَس» والنكهة والأحسن، ومن هؤلاء الرجل الذي وصفته زوجته في حديث أم زرع: «زوجي إن أكل لفَّ، وإن شرب اشتفَّ، وإن اضجع التفَّ، ولا يولج الكفَّ ليعلم البثَّ» (صحيح البخاري :

١٠ / ٣١٨)، فهو نهِمٌ على الطعام والشراب، أنانيٌّ في الانفراد بالنعم، بخيل بحركة يده، ليفرج عن زوجته الكرب والبث والبلاء، فهذا نوع حقير من الناس، خسيس الجبلة، جافي الطبع، رديء المعدن .

* « أكّيل » وهو الذي مهما كان فقيراً لكنه ذَوّاق، يختار لبطنه أفضل الطعام، ويسري هذا إلى لسانه الذي تذوق به الطعام، فيختار اللسان أعذب الكلام، وإذا سرى الطعام الأزكى إلى بطنه وتحول إلى دماء تغذى القلب بالشكر والعرفان، والصفاء والنقاء مع كل إنسان، وصاحب الذوق في الطعام هو صاحب الذوق في كل مجال، وهذا هو المراد من هذه الكلمة التي تبدو عابرة لمن غفل عن تدبر آيات القرآن، لكننا نريد أن نسبر أغوار بحار الأنوار في هذه الشموس والأقمار الربانية التي تهدينا إلى أرقى الأذواق في كل مجال .

(٥) وردت أفعال التفضيل بصيغة « خير » أربع مرات، وهي تتحدث عن موضوع واحد أن الجنتين التي افتخر بهما الصاحب الكافر هما من العرض الزائل، وقد وصل الغرور به أن تصور أنه لو كانت هناك آخرة فسيجد فيها : ﴿ **خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً** ﴾ (الكهف : ٣٦)، فرد عليه صاحبه المؤمن : ﴿ **فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ** ﴾ (الكهف : ٤٠)، لأن هناك أرزاقاً خيراً منها قد تكون السكينة والطمأنينة والراحة والرضا عن الله، والرضا بالقدر خيره وشره، قد يكون زوجة صالحة أو زوجاً صالحاً، قد يكون في أولاد صالحين، قد يكون في الصحة والعافية، وقد يكون هذا البلاء كله للمؤمن محواً للسيئات ورفعاً للدرجات، وفي الآخرة تبدو الخيرية لمن ؟! وفي الموضعين الآخرين جاء اللفظان : ﴿ **خَيْراً** ﴾ يدور حول المعنى ذاته ولتقرأه في سياقه حيث يقول تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ (الكهف : ٤٦)، فالأعمال الصالحة التي يجنيها الإنسان هي الأحظى ثواباً والأوسع أملا في سعادة الإنسان في دنياه وآخرته معا، وهذه تضع أمام الإنسان اختيار الزائل الفاني والركون إليه، أو اللجوء إلى الله تعالى وعمل الصالحات التي تبقى كما قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه *** لا يذهب العرف بين الله والناس

(٦) في السياق نفسه جاءت أفعال التفضيل في قول الصاحب الكافر: ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ (الكهف: ٣٤)، بالخيلاء والكبر والغطرسة، وجاء الرد من صاحبه المؤمن ينقض هذا الاعتزاز بالفناء، الغفلة عن رب الأرض والسماء فيقول: ﴿ **إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً** ﴾ (الكهف: ٣٩-٤٠)، وهذا الاعتزاز هو ما يجب أن يعلنه كل مسلم صادق ومسلمة صادقة على الآخرين عندما يواجه الشر مهما كانت ثروته، وسلطته، وصولته، وتقلبه في البلاد، يواجهه بقوله تعالى: ﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾ (الكهف: ٣٨).

(٧) جاء موضع واحد من أفعال التفضيل في ثلاث قضايا:

* دعاء الله تعالى بعد الذكر والتفويض: ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً** ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤)، فهي حالة من الشفافية بين العبد وربه، فلا يقطع أمرا إلا بمشيئة ربه تعالى، ويكثر من ذكره ويتوسل إليه أن يهديه إلى الأقرب والأعلى إلى الرشد من واقعه الذي يختاره أو يفكر فيه، ولو صار هذا جزءً من دعائنا لنلنا أعلى الهداية والرشاد: ﴿ **فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً** ﴾ (الكهف: ٤٠).

* وصف الإنسان بأنه: ﴿ **أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ (الكهف: ٥٤)، يوحي بكراهية الجدل واستحباب العمل، وهذا ما يجب أن ننتقل إليه من الجدل الأجوف إلى العمل الأحسن، والأحاديث في ذلك جد صريحة في مواجهة هوى النفس في الانتصار للذّات، وعدم الانتصار للحق أو ترك الجدل إلى العمل، منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» (سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، ١٣/١٥٦).

* في تربية الأولاد جاءت قصة قتل الغلام بأمر الله تعالى وكان السبب كما ذكره الخضر: ﴿ **فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْما** ﴾ (الكهف : ٨١)، وهي تضع ملامح ومعايير التربية الصحيحة للأبناء ليكونوا أصحاب تزكية إيمانية ومشاعر وروابط اجتماعية في أعلى مستوى في جانبين أساسيين:

الأول : هو التزكية الإيمانية .

الثاني : هو المكارم الأخلاقية التي تجعله واصلاً لأرحامه ﴿ **أَقْرَبَ رُحْماً** ﴾ (الكهف: ٨١) .

بهذا العرض الاجمالي والتفصيلي ننتهي معاً إلى ضرورة تفعيل منهجية: الارتقاء إلى الأحسن وليس الحسن فقط .

المنهجية السادسة

منهجية ربط الأسباب بالنتائج

من أهم وسائل التربية ودفع الإنسان إلى تغيير مواقفه أن تقدم له نتائج أفعاله خيرا أو شرا، فالإنسان الذي يعرف أن خطواته إلى المسجد في صلاة الفجر سبب لنتيجة كبرى وهو أن يسعى في النور التام يوم القيامة، وأن الصدقة سبب للبركة في الدنيا والنعيم في الآخرة، وأن بر الوالدين سبب لنتيجة في الدنيا وهي بر الأبناء والبركة في العمر ورضا الله في الآخرة، وأن ترك الجهاد ذل واستضعاف في الدنيا وعذاب الله في الآخرة، هذه محركات نفسية قوية لتغيير وتعديل مواقف الإنسان من السيئ إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن.

والأمثلة على ذلك في سورة الكهف كثيرة منها ما يلي:

١ . قوله تعالى: ﴿ **ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ (الكهف:٢٨)، هذه دركات ثلاث يسلم بعضها إلى بعض، فأول دركة في البعد عن الله هي الغفلة عن ذكره، مما يؤدي إلى أن يحكِّم الإنسان هواه، فيصير أسيراً لصديق خارجي جانح، وهوى داخلي جامح، والنتيجة هو انفراط عقد حياته، فإذا ضربنا لذلك أمثلة واقعية فمنها ما يلي:

(أ) إذا نسي الشاب أو الفتاة الذِكر الرباني في معايير اختيار الزوج أو الزوجة فهذا سبب يؤدي إلى غياب الرؤية الصحيحة، ويرى كلٌّ الآخر بعين الهوى، فليلتفت كلٌّ إلى الجمال، والجسد، والغنى المالي، والحسب العائلي، ويتراجع التقدير الديني، فيتزوجان ويجدان أنفسهما قد وصلا إلى نتيجة حتمية وهي غياب أو ضعف الحب القلبي، والتفاهم العقلي، والتناغم الجسدي، بل تتحول أسباب الاختيار إلى نتائج للشقاق والخلاف والمنازعات.

غفلة من ذكر الله ⟸ اتباع الهوى ⟸ انفراط العقد

(ب) إذا نادى المؤذن حي على الصلاة، حي على الفلاح، وغفل المسلم عن تلبية النداء هذا سبب يؤدي إلى نتيجة اتباع الهوى في نوم ثقيل أو مشاهدة أفلام رديئة أو مجالس للغيبة والنميمة، ثم هذا سبب لنتيجة أخرى، انفراط عقد وقته فتمر عليه الأيام والليالي دون إنجاز يسعده في الدنيا والآخرة.

إذاً هناك سبب وهو الغفلة يؤدي إلى نتيجة وهو اتباع الهوى، وتتحول النتيجة سبب لنتيجة أخرى، وهي انفراط عقد حياة الغافل.

٢ . قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً**﴾ (الكهف: ٥٧).

هذه مجموعة أسباب ونتائج يسلم بعضها إلى بعض:

الإعراض عن ذكر ⟸ نسيان التوبة عن الذنوب والمعاصي ⟸ختم على القلب ⟸ لن يهتدوا إذا أبدا.

فكل سبب يسلم إلى نتيجة بعده، وتتحول هذه النتيجة إلى سبب جديد لنتيجة أسوأ منها، فالإعراض عن الذكر يؤدي إلى اختلال معايير الخير والشر، وينسى الإنسان أنه محاسب على فعله فلا يجدد التوبة ليغسل قلبه، وهذا يؤدي إلى الطبع على القلب مثل الثوب الذي تتراكم عليه القاذورات والأدران ولا يغسله صاحبه فيتلطخ بألوان أخرى تغير وجهه، فإذا ختم على القلب لم يعد هناك منفذ لأنوار الهداية، مثل الحجرة التي تحكم نوافذها فلا يدخل إليها الهواء أو تسدل ستائرها فلا ينفذ إليها ضوء.

٣ . قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ (الكهف: ١٣).

الإيمان ⟸ الهداية من الله

الإيمان سبب لنتيجة كبرى وهي زيادة الهداية، يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا**

زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (محمد : ١٧)، ويقول سبحانه : ﴿ **وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ (التغابن : ١١)، إذاً من أراد مزيدا من الهداية فليوفر مزيدا من الإيمان به تعالى، والاعتماد عليه والركون إليه والدعاء له والخوف منه والرجاء فيه، فهذه أسباب تفضي إلى نتيجة من وعد الله لنا وهي زيادة الهداية.

٤ . قال تعالى : ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً** ﴾(الكهف : ١٩).

عدم التلطف ⇐ « يظهروا عليكم »(سيطرة أهل الكفر على أهل الإيمان) ⇐(الرجم والردة) ⇐ « لن تفلحوا أبدا ».

– في هاتين الآيتين اتفق الفتية على إرسال أحدهم ليأتي بأزكى الطعام، بشرط التلطف وألا يشعر بهم أحدا، لأن عدم فعل ذلك سبب لنتيجة حتمية معروفة وهي ظهور أهل الكفر على أهل الإيمان، والقبض عليهم والتضييق على أنشطتهم، ومحاكمتهم بطريقة ظالمة، وهذا سبب لنتيجة وهي إما الموت رجما (حسب قوانين هذه الفترة) أو قبول الفتنة في الردة عن الدين، والخوض مع الخائضين والرضوخ لعادات وتقاليد الكافرين، وآنئذ تكون النتيجة هي عدم الفلاح حيث آثر الإنسان السلامة في الدنيا على العذاب في الآخرة.

– في هذا المثال أيضا يكون كل سبب له نتيجة، وهذه النتيجة تتحول إلى سبب لنتيجة أخرى، أي من سيء إلى أسوأ، وآخرها عدم الفلاح في الدنيا والآخرة وهي مؤكدة بقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً** ﴾ (الكهف : ٥٧).

٥ . قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾ (الكهف : ٨٠).

في هذه الآية مقدمة وسبب يؤدي إلى نتيجة واضحة أن فساد الأولاد يرهق الأبوين إرهاقا لا حد له، وليس أعز على الآباء من أبنائهم، والأبوان حتى لو كانا

فاسقين يحبان أن يكون ولدهما من أهل الاستقامة، فالسكارى والمدمنون والمدخنون وأعضاء عصابات القتل والسرقة والاختلاس ونشر المخدرات لا يتمنون أبدا أن يكون أبناؤهم مثلهم، ويزداد الأمر صعوبة تصل فعلا إلى حد إرهاق الأبوين إذا كانا مؤمنين وأبناؤهم فساق أو كفار، وقد رأينا ذلك في الواقع رأي العين، حسرة في القلب، وألما في النفس، وجرحا في الفؤاد، وحشرجة في الصدر، وقلقا في العيش، إذا وجد هذا التناقض بين توجه الآباء والأمهات إلى طاعة الله ورسوله، وتوجه الأبناء إلى اتباع الهوى ووساوس الشيطان.

وإننا لنلحظ ذلك جليا في هذا التوسل الرقيق من سيدنا نوح إلى ربه بعد أن استنفد كل الوسائل لدعوة ولده حيث قال سيدنا نوح: ﴿ **رب إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ (هود : ٤٥)، فجاء الرد درسا عمليا قويا قال تعالى: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ (هود : ٤٦). وفي هذا رسالة تربوية ضرورية أن يكون همُّ الآباء والأمهات الأول هو التربية الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية مع التربية الجسدية، ويتركون النتائج على الله تعالى.

٦ . قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً** ﴾ (الكهف : ٥٩).

الظلم ⟸ الهلاك .

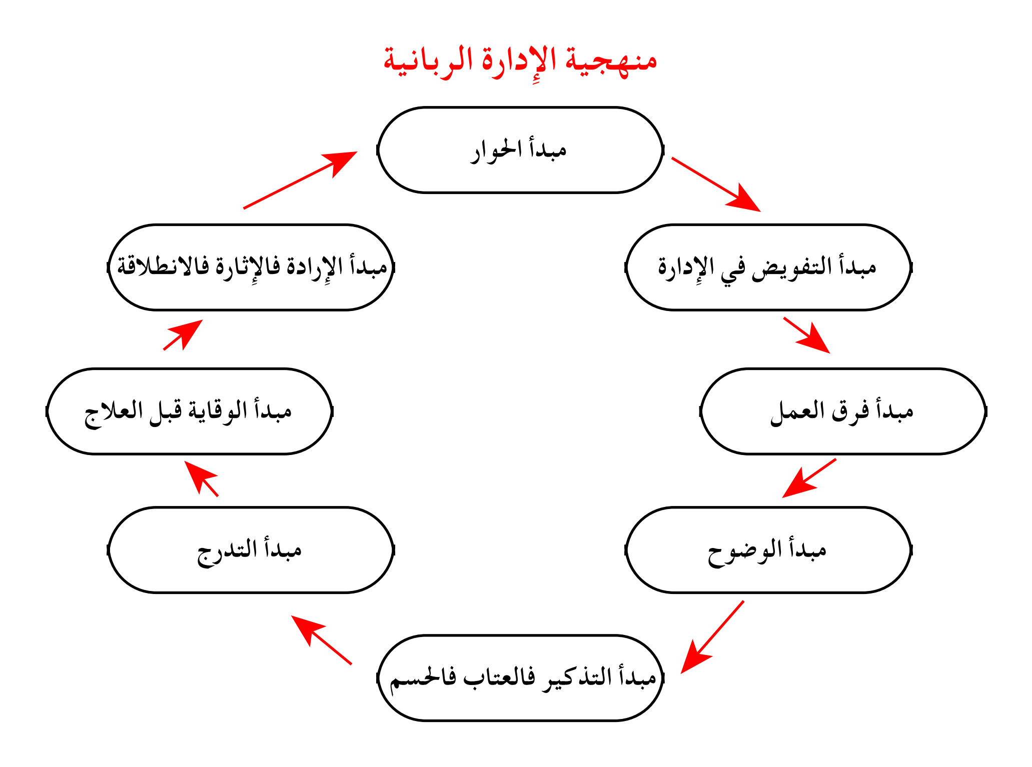
في هذه الآية أورد الله تعالى النتيجة معللة بأسبابها فبين أن هلاك الأمم هو نتيجة حتمية للظلم والطغيان، ولهذا شواهد عديدة في كتاب ربنا سبحانه وتعالى منها قوله تعالى: ﴿ **فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ** ﴾(الحج : ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ**

نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يونس : ١٣)، وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ (إبراهيم : ١٣-١٤).

هذه الآيات ترفع معيار الأمل لدى أصحاب الإيمان أن يجدُّوا في السير إلى الله، وأن يوثقوا علائقهم به، ويؤدوا واجبهم التربوي والدعوي مع اليقين أن ظلم الكافرين لأنفسهم ولغيرهم سبب حتمي لهلاكهم كما توعدهم ربهم، وهو القائل سبحانه : ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ (البروج : ١٢)، وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ (الفجر : ١٤). وهذه نصوص تكفي أصحاب الإيمان أن ينطلقوا في الإصلاح والتغيير وهم واثقون من وعد الرحمن بالنصر والتمكين لهم، والهلاك والإهلاك والبوار للظالمين من أعدائهم.

المنهجية السابعة

منهجية الإدارة الربانية



الشكل (٣)

من يقرأ القرآن الكريم بعمق، والسيرة النبوية بحس إداري سيجد أن قمة المنهجية الإدارية في القرآن والسنة، والسيرة النبوية، تسبق النظريات الجديدة في عالمنا اليوم، لكن القوم فتنوا بالألقاب الأجنبية على طريقة قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾(الزمر : ٤٥)، ولو راجعنا قصة سيدنا سليمان عليه السلام في إدارة مملكته فسنجد مثالاً رائعاً لإدارة الدولة، لكن هنا سوف نستخلص بعض المعالم المنهجية الإدارية من سورة الكهف وأهمها :

١- مبدأ الحوار : الحوار بين أي اثنين فصاعدا هو الظاهرة الصحية الوحيدة للحصول على أفضل النتائج، ويتضح هذا الحوار البناء في عدد من قصص السورة

كما يلي :

(أ) حوار أهل الكهف حول مدة نومهم حيث انتهوا إلى أمر عملي وهو عدم كفاية الأدلة وفوضوا العلم إلى الله تعالى، ليكملوا مسيرتهم إلى الله تعالى، فكان قرارهم : ﴿ **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً** ﴾ (الكهف : ١٩) .

(ب) الحوار بين الصاحبين رغم حدة كفر الصاحب الغني، لكن هذا لم يحمل صاحبه على اعتزاله أو الاعتداء عليه بل قابل الأمر بالحوار البناء .

(ج) الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام وفتاه .

(د) الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام والخضر .

(هـ) الحوار بين ذي القرنين والقوم المظلومين من يأجوج ومأجوج، ولنحاول أن نقرأه بعمق فسنجد فيه أعلى مستوى من الرقي في الحوار نلحظه من قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً** ﴾ (الكهف : ٩٤-٩٦) .

فهؤلاء رغم أنهم لا يكادون يفقهون قولا إلا أنهم عرضوا مشكلتهم ورؤيتهم للحل في بناء سد مانع، وقدموا استعدادهم لدفع أجر على ذلك، فكان الحوار بناءً، من جهة ذي القرنين هو رفض المال « مقابل البناء » وقبول التعاون على بناء السد .

٢- مبدأ التفويض في الإدارة : يبدو جليا في صورة الكهف من خلال هؤلاء الفتية الذين بعثهم الله بعد نوم طويل، وعندما اتفقوا على حاجتهم إلى الطعام وكَّلوا أحدهم ليقوم بالنيابة عنهم بشراء طعام بشرط : ﴿ **فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً** ﴾ (الكهف : ١٩)، إذن له حق النظر والاختيار، وهو مفوض في اتخاذ قرار الشراء نيابة عنهم، لكنهم لم يحددوا نوع الطعام كما حاول بعض المفسرين أن

يذكر أنه البر أو الزبيب أو التمر أو .... وهذا يهدم مبدأ التفويض الإداري أن تعطي للفرد فرصة النظر والاختيار، وتفوضه في اتخاذ القرار، مما يؤهل هذا الشخص للإدارة الراشدة الكاملة في أي موقع.

٣- مبدأ فرق العمل: عندما عرض القوم على ذي القرنين بناء السد، كان بإمكان ذي القرنين أن يستأثر مع جنوده وإمكاناته، التي ذكرها الله تعالى: ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾(الكهف: ٨٤)، فلن يعجزه الانفراد - دونهم - ببناء السد، لكن الآيات تؤسس مبدأ التعاون على فعل الخير، وتأهيل القوم ليحملوا معه أمانه منع هذا الظلم، فقال لهم: ﴿ **فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ** ﴾، وحدد لكل مجموعة ماذا تعمل؟ فهم يأتون بزبر الحديد، وهو ما عالجه بطريقة علمية جديدة «السبائك»، وهم يشاركون أيضاً في اشعال النار بالنفخ حتى تعظم وتشتد السبيكة الجديدة في السد، ثم هم يأتون بالقطر وهو يضعه بحساب الموازين العلمية .

٤- مبدأ الوضوح: الأصل هو منع الغرر(عدم الوضوح) في أي تعامل أو تعاقد، ولذا لما طلب سيدنا موسى اتباع الخضر قال له: ﴿ **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً** ﴾ (الكهف: ٧٥)، وما قبل منه حتى تعهد سيدنا موسى: ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾ (الكهف: ٦٩)، وأخذ عليه العهد ألا يسأل عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا . هذا الاشتراط مهم بين كل تعامل أو تعاقد، ولو حدث بين المسلمين لما انهارت مؤسساتنا الاقتصادية والتعليمية والإعلامية والسياسية حيث يدخل الكثير في معاملات والتزامات يغلب عليها الضبابية والوهم، ومن الوضوح أن سيدنا الخضر لم يترك موسى حائراً فيما سأل عنه فقال: ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف: ٧٨)، وبيّن ووضح له المواقف الثلاثة كيف كان تخريجها، وغرابتها، وفي النهاية لم يُبق في نفس سيدنا موسى شيئاً من اللبس عندما قال له: ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف: ٨٢).

٥- مبدأ التذكير فالعقاب فالحسم: الأصل في الإدارة أن يكون هناك وضوح في بنود التعاقد، فإذا نسي المتعاقَد معه، ومن نتعامل معهم لا تكون الخطوة الأولى هي الحسم، وإنهاء التعامل، كما لا يجوز الصمت على جراح وآلام وحرج في النفس من التذكير، لكن قوة شخصية الإداري تجعله يتبع الخطوات الإدارية الفائقة من الخضر وهي ما يلي على التريب:

* التذكير: عندما نسي فسأله عن سبب خرقه السفينة: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ (الكهف : ٧٢)، وهي لغة رقيقة في التذكير بالعهد .
* العتاب: عندما نسي وسأل عن سبب قتل الغلام: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ (الكهف : ٧٥)، وكلمة «لك» هنا تدل على رفع مستوى التذكير إلى العتاب الشخصي: ﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكَ**﴾.
* الحسم: عندما تكرر الأمر نفسه بالسؤال عن سبب إقامته للجدار دون عوض: ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ (الكهف : ٧٨)، هذا الحسم إذا تأخر أو تحرج منه أي قائد فسيدفع بالمؤسسة، أو المدرسة أو الجامعة أو الوزارة أو الدولة إلى الفشل الذريع، فلابد من هذا السلَّم الصاعد في التعامل، تذكير فعتاب فحسم، دون فشل أو جراح ينوء الجميع بإثمها .

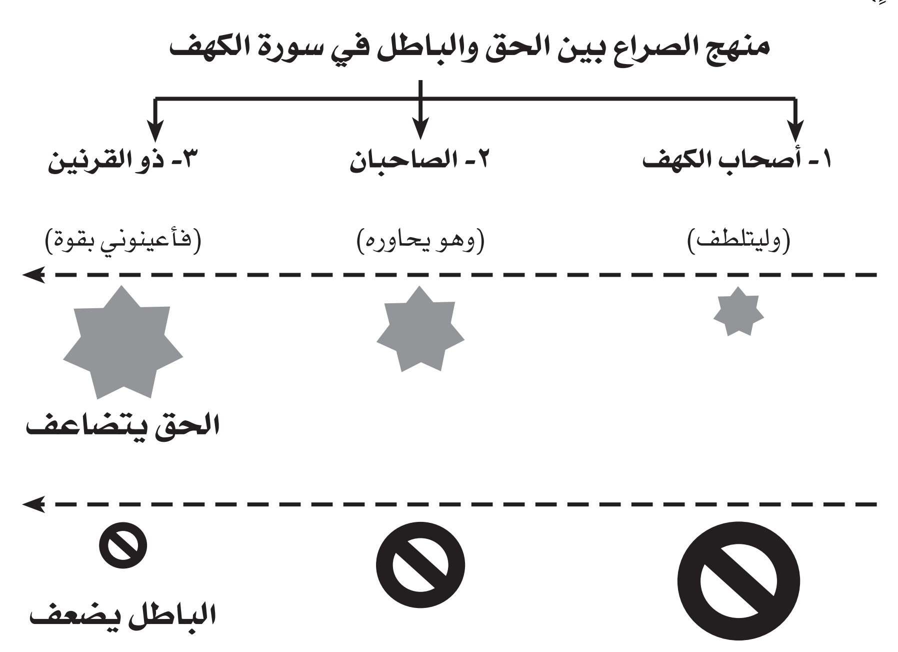
٦- مبدأ التدرج : وهو مبدأ إداري وشرعي وهو ما انتهجه النبي ﷺ حيث بدأ سراً في مكة سنوات ثم أعلن دعوته وأخفى بعض أصحابه الضعفاء ثم أعلن عن الكل، ثم هاجروا وكون دولة في المدينة وبدأ في البناء الداخلي ثم التحرك الخارجي، وظلت الحرب سجالاً ببعث البعوث، لكنه بعد غزوة الأحزاب أعلن أن المرحلة اختلفت: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» (البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب: ٢ / ١١١، حلية الأولياء لأبي نعيم، ص٧ / ١٥٠-١٥١)، وهكذا كانت الفتوحات في مكة وخيبر واستمر

المد الإسلامي إلى العراق والشام ثم مصر، وبلاد المغرب العربي ثم الأندلس، وكان المد في الشرق في الوقت نفسه إلى بلاد فارس وإيران وأفغانستان والهند والباكستان وبلاد ما وراء النهر ثم أخيراً فتحت القسطنطينية، وتحققت نبوءة النبي ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية، فنعم الأمير أميرها، ونعم الجيش ذلك الجيش»، (الاستيعاب، لابن عبدالبر، ص ١ / ٢٥٠)، وهذا هو المبدأ الإداري في التدرج الوارد في سورة الكهف كما أشرنا إليه من قبل ونذكّر به هنا على النحو التالي:

* مرحلة ضعف أهل الحق وقوة وجبروت أهل الباطل ويناسبها ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً** ﴾ (الكهف: ١٩).

* مرحلة تساوي أهل الحق والباطل في السلطة والصلاحيات ويناسبها ﴿ **وهو يُحَاوِرُهُ** ﴾ (الكهف: ٣٧).

* مرحلة التمكين للحق وأهله على الباطل وحزبه ويناسبها ﴿ **فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ** ﴾ (الكهف: ٩٥).



الشكل (٤)

وأستطيع هنا أن أؤكد أن من الوهم الكبير الذي يلابس عقول بعض قادة الجماعات السرية أنهم قد يخرجون من الكهوف إلى التمكين بحركة انقلابية سرية، هذه قد تنجح في الانقلابات العسكرية التي تحسن إلى الناس أول عهدها كي تستهوي السطحيين، وتستجلب النفعيين، لكنها تتحول إلى وبال طويل المدى على الشعوب والبلاد، والإسلام لا يجيز ذلك ولا يتصور أن يتجاوز المصلحون هذا التدرج في السعي لتكثير عددهم كماً، وتعميق التربية كيفاً، حتى يفرضوا وجودهم على الساحة في حالة حوار مفتوحة على جميع المستويات، وهذا الحوار هو الذي سيفرز أعداداً جديدة من الأنصار والحواريين للمشروع الإسلامي الإصلاحي، لا يلبث أن يتحول إلى تيار يكتب له التمكين في وقت ربما كان مفاجئاً للجميع كما قال سبحانه على لسان الخضر كي يزيل دهشة سيدنا موسى: ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف : ٨٢)، هنا يأتي التمكين منحة ربانية من الله لعباده الذين بذلوا قصارى جهدهم في أمرين:

* إصلاح أنفسهم ليكونوا صالحين ربانيين .
* إصلاح مجتمعهم ليكونوا مصلحين مربين .

آنئذ ينالون العناية الربانية في النصر والتمكين، هذا التدرج هو سنة الله في كل شيء في الهلال الذي يبدأ صغيرا ثم يصير بدرا، وفي الطفل الذي ينمو رويدا حتى يصير شاباً فرجلاً فشيخاً هرما، وفي النبات الذي يشق طريقه بين الصخور والجحور ويخرج ضعيفا ثم يقوى كما قال سبحانه : ﴿ **وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾ (الفتح : ٢٩).

هذه الحقائق لا بد من مراعاتها في سنه التدرج في الإصلاح والتغيير إذا أردنا وجه الله، لا التغرير بالشباب والفتيات وإيهامهم أن « جمعيات » الكهف ستصل فجأة إلى إدارة القصور والوزارات والشركات .

أخيراً تصل الدقة في التدرج إلى سرد الأقوال حسب التدرج الرقمي في قوله

تعالى : ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ** ﴾ (الكهف : ٢٢)، فبدأ بالثلاثة ثم الخمسة ثم السبعة في مراعاة للتدرج الرقمي الذي يتوافق مع التدرج العقلي، وكذلك في مدة لبثهم في الكهف حيث ذكر الله أنهم ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً** ﴾ (الكهف : ٢٥)، حيث أورد المتفق عليه وهو أن هؤلاء مكثوا ثلاثمائة سنة شمسية وهجرية ثم زادوا تسعاً في الهجرية دون الشمسية فبدأ بالمتفق عليه، وثنى بما انفرد به التقويم الهجري حيث يزداد كل مائة عام ثلاث سنوات، وهو تدرج يدل على قمة الدقة العلمية .

٧- مبدأ الوقاية قبل العلاج: يبدو جلياً من قصة سيدنا موسى والخضر أن الله تعالى عندما ألهم الخضر أن يخرق السفينة ، وأن يقتل الغلام ، وأن يبنى الجدار أراد أن يرسي لنا منهجية الوقاية قبل العلاج ، حيث لم ينتظر الخضر حتى تمر السفينة على الملك الغاصب ، ثم يبحثون عن حل لأزمتهم مع الملك ، ولم ينتظر على الغلام حتى يترعرع ويكبر، ويفسق ويفجر ثم يستغيث الأبوان من مروق الغلام عن الأخلاق والإيمان، ولم ينتظر حتى يقع الجدار ويأتي البخلاء من أبناء القرية ينهبون مال الأيتام ، وتذهب المسألة إلى القضاة والحكام ، وتضيع الحقوق بين الأنام، بل كانت المبادرات ـ بإلهام من الحكيم العلام ـ أن يكون التصرف الرشيد هو المبادرة إلى الوقاية قبل العلاج ، والاحتياط قبل الانحطاط.

٨- منهجية الإرادة فالإدارة فالانطلاقة : هذه المنهجية حيوية في سورة الكهف عامة لكنها أظهر ما تكون في قصة سيدنا موسي والخضر، وذي القرنين، ويتضح ذلك مما يلي :

١- الإرادة القوية : في أول قصة سيدنا موسى والخضر في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ **لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً** ﴾ (الكهف : ٦٠)، وهذه أعلى درجة من العزم والهمّة في الإرادة حيث صمم سيدنا موسى أن يصل لهدفه، ولن يبرح حتى يبلغ هدفه، وهو لقاء الخضر، ولو مشى على قدميه أحقابا أي مئات السنين . وقد نفذ وعده فقد سارا حتى لقيا

نصبا، ووصل لهدفه المحدد، وتتضح أيضا في الإرادة القوية لذي القرنين الذي أتبع سببا وعزم على نشر العدل والحركة بين المغرب والمشرق وبين السدين وبنى السد ليمنع ظلم يأجوج ومأجوج .

٢- الإدارة السوية : في اصطحاب الغلام والطعام واتخاذ السبيل العملي في البحر سربا، ولقاء الخضر كهدف أساسي والاتفاق معه، والسؤال والتوضيح من الخضر في أول اللقاء وآخره. وفي قصة ذي القرنين حقق واجباته وأهدافه من الإدارة الناجحة في بناء السد، حيث وظف طاقات القوم في إحضار المواد من الحديد والقطر وأشعلوا النار ونفخوا فيها وقام بدور المهندس الكيميائي الذي يحدد مقادير المعادن ودرجات الحرارة ووقت الإشعال والإطفاء، ووصل بقوة إلى جدار لم تستطع عصابات يأجوج ومأجوج له نقبا .

٣- الانطلاقة الفتية : من اليقين الذي لاشك فيه أن تكرار أمر في القرآن يدل على مزيد تأكيد وعناية ولفت نظر لكل ذي قلب يتأثر وعقل يتفكر ونفس تتغير، نلحظ هذه الانطلاقة الفتية في هذا التكرار في كل حركة لسيدنا موسى والخضر كما يلي :

(أ) ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً** ﴾ (الكهف: ٧١) .

(ب) ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً** ﴾(الكهف: ٧٤) .

(ج) ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾ (الكهف : ٧٧) .

ويؤكد هذه الحركة الانطلاقية بلفظ واضح صريح ماجاء في قصة ذي القرنين بإشارة لا تخفى على لبيب بهذه الانطلاقة لذي القرنين في قوله تعالى : ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ** ﴾(الكهف: ٨٥-٨٦) ،﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ** ﴾(الكهف: ٨٩-٩٠) ، ﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا**

بلغ بين السدين ﴾ (الكهف: ٩٢-٩٣)، هذه الحركة الدائرة تصور حالة الداعية الحق الذي يجوب الأرض طولا وعرضا، مغربا ومشرقا، شمالا وجنوبا، يحمل النور إلى العالمين كما وصفه ربه في سورة الأنعام: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (الأنعام : ١٢٢) .

كم في واقعنا ـ نحن قراء هذه السورة كل أسبوع يوم الجمعة ـ من أزمات سببها أمانٍ ونوايا رائعة تذوب مع الإرادة الواهية، فإن تجاوز هذا الضعف إلى العمل كانت الأعمال عشوائية ليس فيها إدارة التخطيط والتنفيذ مع توظيف أحسن الطاقات، وأدق المتابعات، والاقتصاد في النفقات، والوصول للأهداف في أقصر الأوقات .

هل من شك أن أمة الإسلام لو فقهت هذه المنهجية (إرادة فإدارة فانطلاقة)، لن تستسلم لعدو، ولن ترضى بالدونية، ولن تبقى في قفص الاتهام، والذلة والهوان، والاستهلاك والتسول من كل مكان ؟! إن إرادة قوية وإدارة سوية وانطلاقة فتية تكفي لضمان وعد الله في تغيير هذه الأوضاع المأساوية لأمتنا الإسلامية . لتكون بحق أمة رائدة لا راكدة، قائدة لا خامدة. إن مستوى الحركة الدعوية لا يجوز أن تكون حركة وخيمة كسولة ثقيلة بل هي حركة الانطلاق من خلال إرادة لا تعرف الوهن، وإدارة لا تتساهل مع الخلل، وانطلاقة لا تعرف الكسل .

المنهجية الثامنة
منهجية مَجْمع البحرين

مهما قيل في سبب أمر الله لسيدنا موسى عليه السلام أن يسير إلى الخضر عليه السلام، فإنه أولا وآخرا صاحب علم وقوة تأثير فهو بحر من العلم لقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (القصص:١٤)، لكنه لابد أن يلتقي مع بحر آخر وهو الخضر كي يفيد من علمه اللدني والرحمة بالمساكين والآباء والأطفال الأيتام، ولذا كان في أول تعريف بسيدنا الخضر كما قال تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً** ﴾ (الكهف:٦٥)، فهو عبد لله وحده وقريب إلى ربه، فآتاه أمرين الرحمة والعلم، ومع كون سيدنا موسى كليم الله ورسولَه المقرَّب، لكن لابد من مَجْمع البحرين «موسى والخضر»، مكانا وأشخاصا، وهذه تسلمنا إلى المنهجيات التالية:

(١) لابد من التقاء كل جماعات الدعوة وجمعيات البر، وتيارات الخير، ومؤسسات الإصلاح والتغيير، والدخول في حوار يمثل مَجْمع البحرين أو البحار الذاخرة بالخير.

(٢) لا يفترض في هذا الالتقاء أن تذوب كل الجماعات والمذاهب والجمعيات والمؤسسات الإسلامية في بوتقة واحدة، وتصير جماعة وقيادة واحدة وإسلام بلا مذاهب، لأن هذا عكس الناموس الرباني: ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ (هود:١١٨– ١١٩)، وعكس التكوين الإنساني: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾ (الروم: ٢٢)، ومن يطلب ذلك يسعى نحو المستحيل؛ ولو حدث لاتفق موسى والخضر على كل شيء. لكنهما افترقا على الحب والبذل وفق منهجية: (تحابا في الله، اجتمعا عليه وافترقا عليه).

(٣) نعم انتهت القصة بقول سيدنا الخضر: ﴿ **هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي**

وبَيْنكَ﴾(الكهف: ٧٨)، لكنه افتراق بعد وضوح الرؤية ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف: ٧٨)، وأبان له العلل، وأسباب التصرفات المدهشة لسيدنا موسى ولنا معه، وهذا بالضبط ما تحتاجه الحركات والمذاهب الإسلامية أن يكون بينهم حوار ووضوح لأسباب الاختيار، ومنهجية لاتخاذ أي قرار، وإقرار بحق كل في الانفراد برؤيته في الإصلاح والتغيير، حتى تلتقي هذه الأنهار عند مَجْمع البحرين، في التمكين للإسلام والمسلمين، برحمات العزيز الغفار.

(٤) وأحسب أن خطوة حقيقية نحو العزة والتمكين لن تحدث دون التقاء « مَجْمع البحرين » مهما كانت الجماعات والمذاهب تحظي بحواريِّين وأتباع وأشياع، لأن هذه سنة ما قبل التمكين وإلا لماذا جاءت قصة سيدنا موسى والخضر مباشرة بلا فواصل تربوية؟! ، كما جاءت هذه الفواصل التربوية بين قصة أصحاب الكهف والصاحبين، حيث نجد الآيات تعد لمرحلة ما بعد الكهف وهي الحوار بالإعداد له بجوانب ثلاثة ضرورية: ﴿ **وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ** ﴾ (الكهف: ٢٧)، ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ** ﴾ (الكهف: ٢٨)، ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ (الكهف: ٢٩)، وهي تعني العلم والفهم ، والحب في الله والتزام الجماعة، والتحرك بالدعوة إلى الله تعالى، ويمكن تلخيصها في هذه الكلمات: علم، تربية، دعوة، وأما بين قصة الصاحبين وقصة سيدنا موسى والخضر، فقد جاءت تعد المؤمنين لمرحلة التمكين بألا يغتروا بزينة الحياة الدنيا وزخارفها التي عادة ما تصاحب السلطة والثروة ثم الحذر من اتباع إغواء الشيطان، والارتماء في أحضان المضلين، والإعراض عن الذكر الحكيم، والخوف من الجليل أن يهلك القرى بظلمهم أجمعين، لكن على العكس من هذا كله لا أجد فاصلا بين قصة سيدنا موسى والخضر وقصة ذو القرنين لأن هذا هو الواجب لتلك المرحلة أن يلتقي أهل الخير وجماعات البر على رؤية متقاربة واليقين بأن هذا الالتقاء لـ « مَجْمع البحرين » سيعقبه التمكين مباشرة.

(٥) إذا حدث هذا الالتقاء فإن العناية الربانية سوف تتكفل بإحداث أمور لا

يفهمها إلا النادر من العباد، كما لم يفهمها سيدنا موسى وسأل ملحاً في الجواب، وهذه الغيبيات تكون مقدمة لأمر يريده الله ليمكن للخير ويزيح سطوة الباطل من الوجود، وهذا سر مجيء القصة قبل التمكين لذي القرنين، وهي تشبه ما حدث في صلح الحديبية حيث لم يفهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتساءل بإلحاح، واستسلم أبو بكر وغيره، وكان هذا فتحاً دعويا في الانطلاقة نحو العالم برسائل دعوية لملوك وأمراء الأرض، ولم تمضِ سنتان من الاتفاقية لعشر سنوات حتى أجرى بحكمته الله أحداثاً بحكمته، حيث نقضت قريش عهدها في قتل اثنين من بني خزاعة، فكان فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، مما لم يتوقعه الكثير، ولعل هذا يختصر في خلاصة هذا الصراع الرهيب بين الحق والباطل في آخر آية من سورة هود حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾(هود: ١٢٣)، وهذا يمكن أن ينتهي بنا إلى قاعدة ثمينة هي:

(علينا أن نشغل أنفسنا بما كلفنا الله به، وندع لله ما ضمنه لنا).

ولعل هذه يتوافق مع ما قاله ابن عطاء السكندري: « اجتهادك في ما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك ».

المنهجية التاسعة

منهجية إدارة الفتن

الفتن بأنواعها من إغواء وإيذاء لايخلو منها إنسان على وجه الأرض صالحاً أو طالحاً، براً أو فاجراً، حاكماً أو محكوماً، غنياً أو فقيراً، عزباً أو متزوجاً، فمن الفتنة لبني آدم جميعا كما في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأعراف: ٢٧)، وقوله تعالى أيضا: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٥)، ومن الفتنة للرسل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ**﴾ (ص: ٣٤)، ومن الفتنة للظالمين قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ**﴾ (الدخان: ١٧)، ومن الفتنة للمؤمنين قوله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾(العنكبوت :٢-٣).

وأمام هذا القدر الرباني يجب أن تكون عندنا منهجية ورؤية في إدارة هذه الفتن التي تتنوع في حياة كل إنسان. وفي سورة الكهف التي نحن بصددها نجد عرضا عميقا قويا للفتن في جانبها السلبي ثم بمنطق الإيمان يمكن إدارتها لنحولها إلى الجانب الإيجابي، وهذا يبدو من الجدول التالي:

منهجية إدارة الفتن

أنواع الفتن	تخلية / ألم	تحلية / أمل وعمل
١ . فتنة زينة الحياة الدنيا في المال والولد	١ . الزينة الفانية : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٤٦). ٢ . ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (٣٤). ٣ . ﴿ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ (٨٠).	١– القيمة الباقية : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (٤٦). ٢– ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ (٨٢). ٣– ﴿ خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ (٨١).
٢ . فتنة السلطة	١ . ملك ظالم : ﴿ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ (٢٠). ٢ . ملك غاصب : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ (٧٩).	ملك عادل : ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً ﴾ (٨٧)، ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى ﴾ (٨٨)، ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ (٩٥).

تابع منهجية إدارة الفتن

أنواع الفتن	تخلية / ألم	تحلية / أمل وعمل
٣ . فتنة الأصدقاء	١ . صداقة الغافل وطاعته: ﴿ **ولا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾(٢٨).	١ . صداقة الكافر أو غير المسلم لنحاوره وندعوه: ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾(٣٧). ٢ . صداقة المؤمنين: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً** ﴾(١٣-١٤). ٣ . صداقة العلماء والصالحين: ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** ﴾(٦٦).
٤ . فتنة العلم	« هل هناك من هو أعلم منك؟ قال: لا ».	١ . ﴿ **فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً** ﴾(٦٥). ٢ . ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾(١٠٩).
٥ . فتنة الشيطان	﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾(٥٠).	﴿ **الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً** ﴾(٤٤).

وفيما يلي أتعرض لكل فتنة على حدتها، وإدارتها من التخلية إلى التحلية، ومن السلبية إلى الإيجابية ومن الشر إلى الخير، ومن الشقاء إلى السعادة ومن الدفع إلى الرفع، ومن الألم إلى الأمل والعمل.

الفتنة الأولى : فتنة زينة الحياة الدنيا في المال والولد : (من الزينة الفانية إلى القمة الباقية) :

يتضح من بداية السورة إلى نهايتها أن هناك تركيزا على كيفية التعامل مع زينة الحياة الدنيا مالا وولدا .

وآيات سورة الكهف تضع وصفا دقيقا للفتنة وأثرها على قلوب بني آدم، ثم تضع منهجية التعامل معها ففي إطار الوصف الدقيق لزينة الحياة الدنيا جاء لفظ الزينة في السورة ثلاث مرات، على الترتيب التالي :

١ . ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ (الكهف : ٧) .

٢ . ﴿ **وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ (الكهف : ٢٨) .

٣ . ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ (الكهف :٤٦) .

أول ما نلحظ في هذه الآيات الثلاث أن آيات سورة الكهف تصف الدنيا بأنها زينة، وهي تعني أنها ليست حراما لكنها مجرد شكل يحتاج إلى المضمون الذي يتزين به، لأن الزينة عادة ما تذهب أو تخفت ولايبقى إلا ماذكره الله تعالى في الآيات نفسها : ﴿ **وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ (الكهف : ٤٦)، وبالتالي فإن هناك أمرين يعتبران أساسيين في منهجية التعامل مع فتنة الدنيا :

أولا : الحرص على ثوابت الإيمان التي تدفع الإنسان إلى فعل الخير ونفع الغير، وهذا مايبقى خيره في الدنيا والآخرة، كما قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه .·. لا يذهب العرف بين الله والناس

ثانيا : لا حرج على من أخذ شيئًا من زينة الحياة الدنيا، ومن رحمة الله بنا أن الله لم يحرم هذه الزينة على عباده فقال سبحانه : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (الأعراف : ٣٢)، فإن كانت ثمة تضحية فبالزينة لا بالأصل، وبالشكل لا المضمون، وبالعرض لا الجوهر، فإن اجتمعا فهما طيب الحياة الدنيا والآخرة معا، وأوضح مثال عملي في السورة هو ذو القرنين الذي جمع بين كل أسباب التمكين والزينة والحركة والقوة، وهو مع ذلك عبد رباني ينسب الفضل كله إلى الله سبحانه، ويرفض المال مقابل إقامة العدل ومنع الظلم، معتزا بثواب الله فيقول : ﴿ **مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ** ﴾ (الكهف : ٩٥)، وبعد نجاح مشروعه قال : ﴿ **هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً** ﴾ (الكهف : ٩٨)، هذه الصورة المثالية التي يصبو إليها كل مسلم، والصورة العكسية التي يجب أن ينفر منها كل مسلم هي صورة الصاحب الكافر الذي أوتي من زينة الحياة الدنيا جنتين مثمرتين وأنهارا وأولادا وأموالا، فنسي الله المنعم واستكبر في الأرض بغير الحق، واختال على صديقه المؤمن بقوله : ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ (الكهف : ٣٤)، وتوضح الآيات أن صاحبه الذي حُرم الزينة ورزق نعمة الإيمان أظهر قوة اعتزازه بهذا الإيمان في قوله : ﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾ (الكهف : ٣٨)، وثقته في ربه بقوله : ﴿ **فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً** ﴾ (الكهف : ٤٠)، وهذا قد يكون في الدنيا أو مؤجلا في الآخرة. والنتيجة كانت البوار والخسران والندم :

﴿ **وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً** ﴾ (الكهف : ٤٣)، والتعقيب يؤكد بقوة على أن الفتنة بالزينة لاتورث إلا حسرة فواتها وانعدام أجرها في قوله تعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى**

كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (الكهف : ٤٥)، وأن المال والبنون مجرد زينة، ولاتغني الزينة عن الجوهر، وهو الباقيات الصالحات حيث تسيير الجبال، ويبرز الناس للواحد القهار، وليس بين أيديهم من زينة الحياة إلا ماوظفوه في الباقيات الصالحات . وقد أكدت قصة سيدنا موسى والخضر أن هنالك تأمينا ربانيا لمن انحاز إلى الباقيات الصالحات، أن الله يحفظ له كنزه ليس له وحده بل أيضاً لأولاده، ولو بعد أجيال في قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف : ٨٢)، وهذه الآية مع آية سورة النساء : ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ (النساء : ٩)، هما أكبر أمان للمسلم أن يؤسس الإسلام والإيمان والإحسان في قلبه، وعقله، ووجدانه، ويطمئن تماما إلى رعاية الله له ولأولاده في حياته وبعد مماته .

وحتى لايستهين أحد مهما كان إيمانه بفتنة الولد قال سبحانه : ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الأنفال : ٢٨)، وفتنة الغلام الذي قُتل لأنه قد يتسبب في إرهاق وطغيان وفتنة أبويه المؤمنين، وكان من رحمة الله أن خلصهما منه : ﴿ **فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً** ﴾ (الكهف : ٨١)، ليكون عونا على البر والخير، ولذا كان دعاء سيدنا زكريا ليس أن ينجب أي ولد وإنما أن يرزق وليا من أولياء الله يرث النبوة والخير : ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً** ﴾ (مريم : ٥-٦)، وكان دعاء سيدنا إبراهيم لما اصطفاه الله واختاره إماما : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة : ١٢٤).

والصورة التي لانستطيع أن ننساها أن ولد نوح عليه السلام كاد أن يبلغ بأبيه النبي الرسول من أولي العزم من الرسل لأن يكون من الخاسرين أو الجاهلين في مشهد يجب أن نتذكره في التعامل مع أولادنا عندما نبذل لهم أقصى جهدنا في الإعداد والتربية ثم ينحرفون، فلا ينبغي أن يرهق الوالد والأم أو يذهلا عن أعمال البر والخير بسبب فساد أو كفر أولادهم، ويتضح ذلك من هذا المشهد في دعاء سيدنا نوح في قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (هود: ٤٥-٤٦).

إن النجاح الأساسي في إدارة فتنة زينة الحياة الدنيا في المال والولد أن تستخرج منها الباقيات الصالحات ولعلها تدخل في مضمون الحديث الذي رواه مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته: ١١ / ٧١).

الفتنة الثانية: فتنة السلطة:

الفتنة الثانية حسب ترتيب سورة الكهف هي فتنة الملك والسلطة حيث يوجد عندنا ثلاثة أنواع من السلطة هم:

١ . ملك ظالم (ديكتاتور) في قصة أصحاب الكهف، يمنع حرية التدين والتعبد ويقتل رجما من خرج عن عبادة هذا الملك.

٢ . ملك غاصب (حرامي) يأخذ كل سفينة غصبا، حتى من العمال المساكين الكادحين العاملين في البحر.

٣ . ملك عادل (مصلح) وهو ذو القرنين، الذي ينشر العدل ويمنع الظلم

ويحسن إلى الصالحين ويعاقب المجرمين.

المنهجية هنا تتمثل أن السلطة مع الهوى تدعو إلى الظلم والقهر بنوعيه في الاستبداد السياسي والفساد المالي، والله تعالى يقول: ﴿ **كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى** ﴾ (العلق :٦-٧)، بعد أن ذكر في السورة نفسها من قصة فرعون الذي جمع بين الطغيان السياسي إلى أعلى مستوى فقال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ (النازعات:٢٤)، وقال: ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي *مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ (غافر : ٢٩)، بالإضافة إلى الفساد المالي والاستحواذ على خيرات مصر، فقال: ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾ (الزخرف:٥١) وكان عاقبة فرعون هو كسر هذا الكبر في آخر لحظات حياته عندما قال: ﴿ **آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (يونس : ٩٠)، وهي تعني أنه واحد من الناس ليس عنده ما يميزه على بني إسرائيل ثم ترك ماله للمستضعفين أصحاب الحق الأصلي كما قال سبحانه: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ** ﴾ (الأعراف : ١٣٧)، وتحقق فيه دعاء سيدنا موسى عليه السلام : ﴿ **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ (يونس : ٨٨)، وكان التوجيه عمليا من الله إلى موسى أنه استجاب لدعوته لكنه عليه أن يقوم بواجبه، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون** ﴾ (يونس:٨٩).

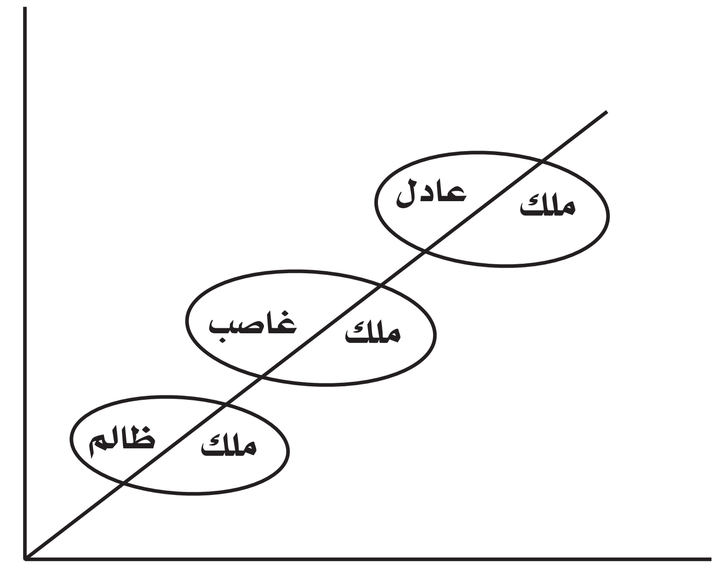
والمنهجية المستخلصة هنا أيضا أن كل ملك ظالم أو غاصب مآله إلى ذل وانكسار وفقر وانهيار بين يدي قوة الملك الجبار، إما في الدنيا أو في الآخرة. وأن الملك الصالح يعيش محبوبا في الدنيا، آمنا في الآخرة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، كما بشر النبي ﷺ في حديث البخاري بسنده عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ

قال : « سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ : الإمامُ العادلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادة ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلان تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليه وتَفَرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصبٍ وجمال فقال : إني أخافُ اللهَ، ورجلُ تَصدَّقَ أخفى حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عَيناه » (صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد منتظر الصلاة : ٢ / ٣٦١) .

النصوص إذن تعطي معياراً للملك الظالم المغتصب، ومعياراً آخر للملك العادل ليختار المهتدون من الملوك بذي القرنين كمعيار متميز للملك العادل الصالح .

وهذه رسالة إلى كل ملك أو أمير أو زعيم أو رئيس أن يترك طريق فرعون، أو ملك أصحاب الكهف، أو الملك الغاصب لكل سفينة، ليكون قدوتَه ذو القرنين وسيدنا سليمان عليه السلام والرسول ﷺ بعد أن ولي الإمامة في المدينة، والخلفاء الراشدين المهديين في إدارة الدولة الإسلامية .

وفي الرسم التالي إيضاح لمنهجية إدارة فتنة السُلطة من السلبية إلى الإيجابية :



الشكل (٥)

الفتنة الثالثة : فتنة الأصدقاء :

لدينا في هذه السورة ثلاث صور من الصداقات :

مجموعة شباب صالحين (أهل الكهف).

صديق مؤمن + كافر (قصة الرجلين).

صديقان مؤمنان (موسى والخضر).

الشكل (٦)

وسوف أبين منهجية التعامل بين الأصدقاء في كل صورة من هذه الصور :

الصورة الأولى : صداقة أهل الكهف :

في قصة أصحاب الكهف هناك أصدقاء من الشباب عبر القرآن عنهم بقوله : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ (الكهف : ١٣)، فهم في عمر الشباب التقوا على الإيمان واتفقوا على الثبات ﴿ **لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً** ﴾ واتفقوا على التخفي مع العبادة : ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ** ﴾ (الكهف :١٦)، ولم يختلفوا بعد بعثهم حول مدة نومهم، واتفقوا على نسبة العلم إلى الله، وتفويض أحدهم ليأتي بأزكى الطعام، وهذه معالم حية للصداقة الراشدة أن يلتقي الشباب على الإيمان والثبات، والرؤية الحركية الدعوية المناسبة لظروفهم، والثقة في بعضهم البعض، والاهتمام بالعمل لا الجدل، وهذه معايير يجب أن يتمثلها الشباب والفتيات، الرجال والنساء في اختيارهم لأصدقائهم.

ومن الطريف هنا أن نذكر أن صحبة الكلب لهم رفعت قدره حتى ذكره الله في القصة أربع مرات بما يعني أن الإنسان لو التزم مع قوم خير منه يرفع بهم ويلحق

بهم، لقوله تعالى: ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ (يوسف: ١٠١)، ويحشر معهم للحديث: الذي رواه البخاري بسنده عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «المرءُ معَ من أحبَّ». (صحيح للبخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله: ١٢/١٩٥)، وهي تضيف في منهجية الصداقة أن يبحث الإنسان عن قوم هم خير منه علما وعملا ودعوة، فيرتفع بهم ويرتفعون به. يقول الشاعر:

عن المرء لاتسل وسل عن قرينه .·. فإن القرين بالمقارن يعرف

ولعل هذا يتوافق مع ما قاله ابن عطاء السكندري: «لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله». والعرب تقول: «المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه».

الصورة الثانية: الصداقة بين المؤمن والكافر:

قد يبتلى الإنسان بصديق سيء مثل قصة الصاحبين وهذه القصة تعطي المنهجيات التالية:

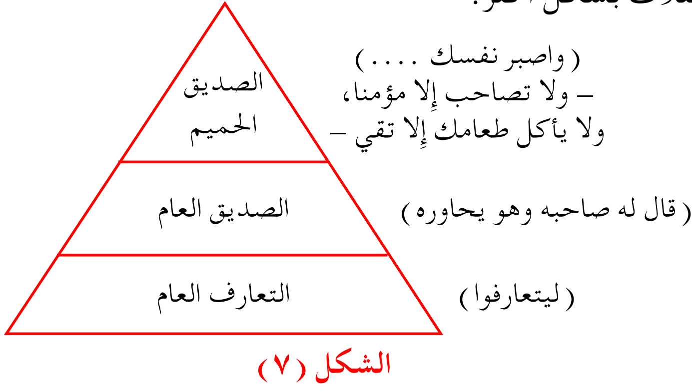
١ . لا مانع شرعا أن يصاحب المؤمن غير المسلم كما ورد نصا مرتين: ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾، وكما ورد في سورة يوسف: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ (يوسف: ٣٩)، وهذه نصوص صريحة قطعية الدلالة والثبوت على جواز أن يصادق المؤمن غير المسلم، وعندما ندقق النظر في هذه القصة بشكل خاص سنستنتج أن هناك صداقة ومصاحبة بين الرجلين وتزاور؛ لأن دلالة النص تشير إلى أن هناك حوارا مستمرا فلا يعقل أن يكون هذا أول لقاء ثم يعلن صاحبه الكفر، ويبادره الصاحب المؤمن بهذه النصائح، ومما يدل على هذا أن كلاً يعرف ظروف الآخر المادية وعدد أولاده، فعندما قال له: ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ (الكهف: ٣٤)، ورد عليه صاحبه: ﴿ **إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالا وَوَلَدًا** ﴾ (الكهف: ٣٩)، دل هذا بالإشارة إلى أن كلاً يعرف صاحبه وقدراته المادية وعدد أولاده، ومن هنا تتأكد قضية جواز الانبساط والتقارب بين المسلم وغيره، ولعلي أضيف هنا رؤية انقدحت في عقلي ووجداني من آيات القرآن وهدي سيد الأنام ﷺ أن هناك ثلاث مستويات:

أ . **التعارف العام مع الخلق جميعا بقدر الوسع**: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ (الحجرات:١٣).

ب . **الصديق العام**: من هذا التعارف الواسع يتخذ الإنسان أصدقاء وهو ما يمكن أن يسميه الصديق العام الذي يكون بيننا وبينه تعاون وتعارف وتواصل وحوار، وهنا يمكن أن يكون الصديق العام مسلما أو فاسقا أو كافرا، وهذا ما تشير إليه بقوة قصة الرجلين في سورة الكهف وسيدنا يوسف مع الصاحبين في السجن، وهذه الصداقة تكون بشروط أذكرها في النقطة الثانية إن شاء الله.

ج . **الصديق الحميم**: وهو الخل الأوفى والصديق الأدنى والحِب الأسمى، لا يجد الإنسان حرجا أن يذكر له همومه وأفراحه وأتراحه وأن يستشيره في أدق أموره وجليلها، وأن يتواصل معه في أوقات لا يسمح فيها لغيره، وفي هذه الصداقة بنوع خاص يجب أن تكون بين المؤمنين الصادقين يشد بعضهم بعضا إلى المعالي، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ (الكهف: ٢٨)، ويؤكد هذا المعنى الحديث الذي رواه الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي) (سنن الترمذي ص٢٣٩٥ ، وقد حسنه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي)، وهو لا يتعارض مع التعارف العام ولا الصديق العام.

وهذه الصور الثلاثة تتسع كثيرا في التعارف وتقل في الصداقة العامة وتتضاءل عند اختيار الصديق الحميم، ولعل الرسم التالي يوضح مستوى وحجم هذه العلائق الثلاث بشكل أكثر:



الشكل (٧)

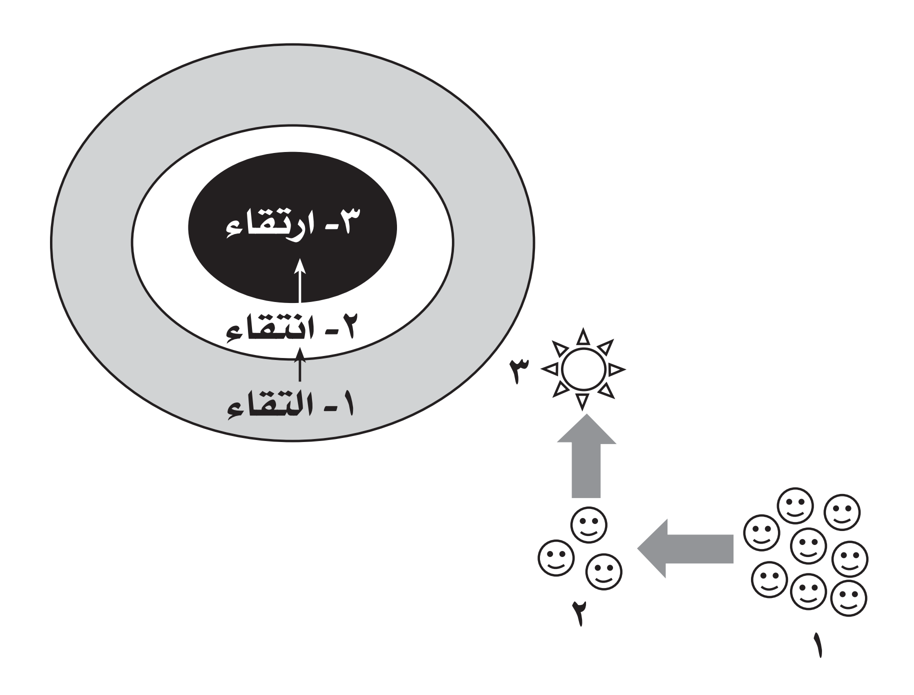
٢ . يشترط لصحة هذه الصداقة ألا يذوب الإنسان في عادات وأفكار ومعتقدات صديقه غير المسلم أو غير المتدين، بل يعتز بإيمانه ويحافظ على نفسه، كما يشترط أن يبادر إلى النصيحة بالحكمة دون اعتداء أو اعتزال. وأحب أو أوجه كثيرا من الآباء والأمهات الذين أحسنوا تربية أولادهم أن يدفعوهم إلى أن يفتحوا علاقات مع غير المتدينين من المسلمين أو غير المسلمين، مع تدريس هذا النموذج ليكون منارة للخير تنير للغير، وليس مستنقعا يستهويه كل شر، فإننا لن نغير المجتمع حولنا باعتزاله، والضعيف يجبن عن نشر فكرته والتأثير في غيره، والصديق القوي في شخصيته وعقيدته هو مثل هذا الصديق والصاحب في القصة الثانية من سورة الكهف. فإذا أردنا أن نخطو من الاستضعاف إلى التمكين فلن يتم إلا عبر الاحتكاك والتعامل مع كل فصائل وطوائف المجتمع صالحه وطالحه، لجذبهم رويدا نحو نور الله عز وجل وهدي نبيه ليكون التدين ليس حكرا على نخبة بل منتشر بين أبناء الأمة، ليكون تيارا متدفقا يسعى إلى التغيير والإصلاح حوله.

كما أحب أن أوجه الشباب أن يكونوا عند حسن الظن إذا صاحبوا مسلماً مقصرا، أو غير مسلم فاسداً خاصة إن كان غنيا، بألا يشعر بالذلة والهوان لثرائه، وأنواع لباسه، ونوع ساعته وسيارته، وموقع بيته ووظيفته، بل يعتز بإيمانه، ويدعوه بحكمه إلى أنوار الإيمان، وأخلاق الإسلام ليتضاعف الخير والإحسان .

الصورة الثالثة: الصداقة بين مؤمنين:

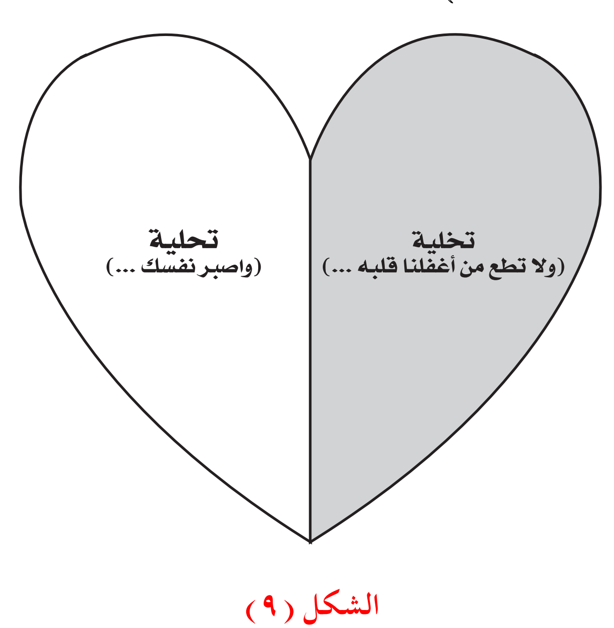
أحسب أن هذا المستوى الأخير الذي عرض في السورة هو أرقى مستوى في الصداقة، حيث إن هناك نبيا رسولا وهو سيدنا موسى كليم الله، وهناك ولي من أولياء الله وهو سيدنا الخضر، وعنده تميز في ثلاثة خصائص عبّر عنها القرآن في قوله تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً** ﴾ (الكهف : ٦٥)، هو عبد مخلص أوتي رحمة من الله والعلم اللدني، وهنا تبدو منهجية الصداقة في هذه الحالة هي الحرص على التعلم مهما كانت مكانة الداعية أو المتعلم عند الله أو الناس، وأن يصبر على شدة أستاذه، وفي الوقت

ذاته إن رأى شيئا ينكره عقله من حقه أن يبادره بالسؤال كما سأل سيدنا موسى عن خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار دون أجر. وعلى الصاحب الآخر أو الأستاذ ألا يدع تلميذه أو صديقه حائرا وإنما قال له: ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف: ٧٨)، فخير الأصدقاء من يعلمك بقوله وسلوكه، ويكون واضحا معك عند الالتقاء، والافتراق ويحفظ لك الود بعد الفراق، وأحسب أن كل صاحب قلب ودعوة ورسالة من المؤمنين يحتاج إلى مثل هذه الصحبة، وسبيل ذلك أن يكون للمسلم حضور ومشاركات في المسجد والندوات والمحاضرات والمؤتمرات والملتقيات الإسلامية والديوانيات ومجالس الأفراح، ومن اللقاء يبدأ الانتقاء من بين هذه الجموع ممن يهش له القلب، وتأنس له النفس، ويستريح له الفؤاد، وينسجم معه العقل ليبدءا معا مشوار الارتقاء، فالمنهجية هنا هي الالتقاء ثم الانتقاء ثم الارتقاء، كما يوضحها الشكل التالي:



الشكل (٨)

وإذا جئنا إلى كيفية حدوث الالتقاء والانتقاء والارتقاء فإن هناك معيارا راقيا في هذه السورة للتحلي بأطيب الصداقات والتخلي عن أرذلها ويبدو ذلك من الآية التالية: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾ (الكهف: ٢٨).



الشكل (٩)

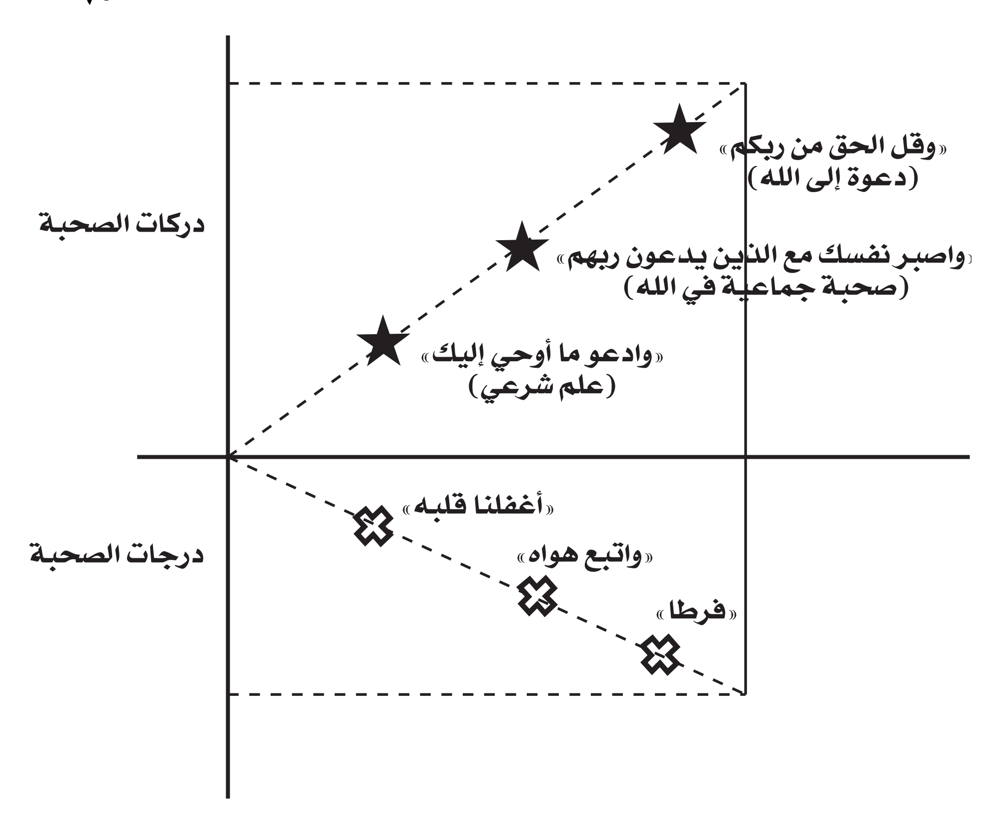
أعتقد أن هذه الآية هي عمدة الأدلة في السورة على منهجية اتخاذ الأصدقاء الصالحين، ومنهجية مواجهة فتنة الأصدقاء الطالحين. فالنصف الأول من الآية يحث على الصبر على الالتقاء مع هؤلاء الصالحين، وقد حددت الآية صفتهم أنهم يذكرون الله في الليل والنهار، في الصحة والمرض، في السفر والحضر، في العزوبة والزواج، في الفقر والغنى، وأنهم يفعلون ذلك متجردين لله تعالى يريدون وجهه، ثم جاء التأكيد إلى عدم الانصراف عنهم والانشغال بعرض الحياة الدنيا وزينتها في التجارة والعمارة والسفر والترحال. لأن النظر في وجوه قوم يحملون النور: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم**﴾ (الفتح: ٢٩) يزيد الإنسان نورا وبهاء وقربى إلى الله

تعالى. ومن دليل المخالفة لذلك أن أم من بني إسرائيل دعت على ابنها عندما لم يجبها: (اللهم لا تمته حتى تريه المومسات) (صحيح البخاري : ٥/ ٤٢٢)، في القصة المعروفة.

على الجانب الآخر هناك تحصين للمسلم أن يتخذ صديقا ممن غفل قلبه عن ذكر الله في ليله ونهاره، في بيعه وشرائه، في زواجه وطلاقه، في رضاه وغضبه، لأن الذكر هو الذي يحكم هوى النفس ويطرد وساوس الشيطان، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ (الأعراف : ٢٠١).

إذا ماخلا القلب من ذكر الله يسرح الشيطان ويستقوي الهوى، ويصير الإنسان تابعا ذليلا لهما، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ (الكهف:٢٨)، وهذا الاتباع قد يصل إلى درجة العبادة: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ (الفرقان: ٤٣).

فإذا اتبع الإنسان الهوى وأطاع الشيطان انفرط عقد حياته، فالصدر في ضيق، والكثير قليل، والبدن عليل، وليله طويل، وعمله قليل، وذنبه جليل، ومثل هذا صحبته وبال الدنيا والآخرة. ولعلنا نتصور هذه الخطوات للصحبة السيئة في دركات الصحبة السيئة فلا ينفعه مال ولو كان كثيرا، ولا يستفيد بعلم ولو كان غزيرا، ولا بوقت ولو كان طويلا، ولا بأهل ولو كانوا عشيرة، ولا بمنصب ولو كان رفيعا، ولا بشهرة ولو كانت ذائعة. وأيضا على الجانب الآخر هناك درجات للصحبة الصالحة تبدأ بأن يفهم الإنسان المنهج من خلال يتلو ثم يبحث عن إخوان الصفا من خلال قوله تعالى : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾(الكهف : ٢٨)، ليكون لهذه الصحبة هدف أساسي وهو: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾(الكهف:٢٩)، كما هو موضح في الرسمة التالية:



الشكل (١٠)

الفتنة الرابعة: فتنة الشيطان:

في سياق الحديث عن الفتن التي قد تصرف الإنسان عن المنهج القيم واتباع الأحسن، فتنة الشيطان، وإذا كان العرض مختصرا في هذه السورة فإنه قد جاء في درجة عالية من التركيز حول علاقة الشيطان بالله عندما عصى الله تعالى أن يسجد لآدم، ثم علاقة الشيطان بالإنسان أنه له عدو مبين فقال سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ (الكهف: ٥٠)، وفي هذه الآية نلمح مايلي:

١ . أن الشيطان فسق عن أمر ربه، وخرج عن إجماع الملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون.

٢ . أن الشيطان للإنسان عدو .

٣ . بناء على هاتين المقدمتين لا يجوز اتخاذه وليا من دون الله وبديلا عن ملائكة الله .

٤ . هذا يمثل قمة الإقناع لقلب الإنسان وعقله، فكيف يطاع من كان فاسقا عن أمر ربه معلنا العدواة للإنسان، وبدليل المخالفة لايجوز بحال أن يكون الشيطان وليا أو بديلا . من السهل أن تقول لأحد : لاتطع فلانا، لكن إذا لم يُبنَ هذا الأمر على قناعة أن هناك من الأسباب والعلل، فإن هذا لن يكون كافيا أن يتخذ الإنسان موقفا، فإذا كانت كل العلائق تبنى على أساس العلاقة مع الله فهو أول من فسق عن أمر ربه، فإذا ماخفتت هذه المسألة في القلب فإن القناعة العقلية بأن الشيطان للإنسان عدو تكفي أن يتخذ الإنسان موقفا صارما من اتباع نزغات الشيطان .

وهنا يأتي السؤال حاسما في قوله تعالى : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾ (الكهف : ٥٠)، كي يحمل الإنسان على اليقظة الدائمة من عدو الله ثم عدو الإنسان وهو إبليس وذريته أجمعين .

وإذا أردنا مزيدا من التفصيل من خلال مراجعة آيات القرآن والأحاديث الصحاح في منهجية التعامل مع الشيطان، فيمكن الرجوع إلى كتابي الصراع مع الشيطان، ولكني هنا أريد بشكل واضح أن يعلم الإنسان أن إدارة الفتنة مع الشيطان تحتاج إلى ما يلي :

١ . إدراك رسالة الشيطان من الإنسان بشكل يقيني، ولقد تدبرت كل الآيات التي تحدثت عن الشيطان وعلاقته بالله، ثم علاقته بالإنسان فلم أجد آية – فيما يبدو لي – تعبر عن رسالة الشيطان مثل آية سورة فاطر : ﴿ **إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ (فاطر:٦) .

٢ . أن الشيطان يسعى بقوة إلى نسيان العبد ذكر الله وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس وإدخال الحزن والخوف عليهم وجذبهم إلى الكفر والعري والفسوق عن أمر الله .

٣ . أن للشيطان خطوات متدرجة مع الإنسان قبل العمل بدفعه إلى الكسل أو التسويف، أو أثناء العمل لجعله رياء وسمعة أو أن يقوم به دون اتباع هدي القرآن والسنة، أو ألا يتم الإنسان ما بداه من خير، فإذا فشل في أي من الخطوتين بعد العمل فإنه يدفع الإنسان إلى المن تطوعا أو المن اضطرارا في مواجهة إساءات من نحسن إليهم.

٤ . أن الشيطان يعمل على الإنسان في الليل والنهار، في النوم واليقظة، في الرضا والغضب، فلا يدعه إلا إذا استعمل الإنسان العلاج الرباني في صرفه ووقف وساوسه وطرد هواجسه.

٥ . من أهم الوسائل العملية في الصراع مع الشيطان ما يلي:

(أ) العلم: فروى ابن ماجه بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ» (سنن ابن ماجه، كتاب النبي، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: ١ / ٨١). فاشغل نفسك بالقراءة والدراسة، والدورات، واللقاءات العلمية بشكل دائم يبعد عنك الشيطان.

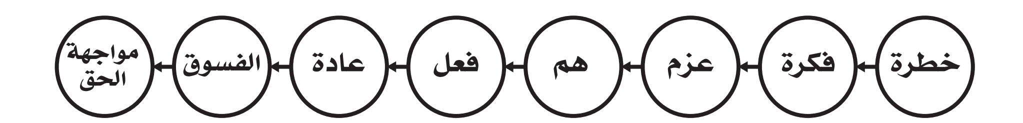
(ب) الذكر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١). ولابد أن يكون الذكر كثيراً مستمرا، متوافقاً مع يوم الإنسان وليله، يقظته ومنامه، مطعمه وشرابه، حتى ييأس الشيطان منه، أو يبتعد عنه.

(ج) الصوم: روى البخاري بسنده في حقيقة الصيام عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» (صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عن الحاكم في ولاية القضاء: ١٥ / ٦١)، وقد ذكر الشيخ الألباني في كتابه «حقيقة الصيام» أن عبارة: «فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم» لا أعلم لها أصلا في كتب السنة. وإن كان ذلك لا يمنع من صحة المعنى أن الصوم سواء كان صوم فرض أو تطوع، يجهد الشيطان ويقلل وساوسه

للإنسان، لأنه عنصر تربوي فاعل ومؤثر في شفافية القلب، وصفاء الروح، وضعف الهوى، وإنهاك الشيطان.

(د) صحبة الصالحين: روى التبريزي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «يد الله مع الجماعة ومن شذ، شذ في النار». (مشكاة المصابيح للتبريزي: ١ / ٤٢٠)، وما رواه المنذري بسنده عن الرسول ﷺ «الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة ركب» (الترغيب والترهيب للمنذري، ص ٤ / ١٠٩)، والحق أن من يريد السير إلى الله فلا بد من صحبة صالحة يفر منها الشيطان، ويكون التواصي بالحق والتواصي بالصبر طريقاً إلى رضا الله ونيل الجنان.

(هـ) كن مستعداً للمواجهة: يرى ابن القيم أن: «أول نزغات الشيطان خَطْرة فادفعها، فهي أهون مما بعدها، وإلا صارت فكرة فادفعها، فهي أهون مما بعدها، وإلا صارت هَمًا، فادفعها فهي أهون مما بعدها، وإلا صارت عزما، فادفعه وإلا صارت فعلا، فادفعه فهو أهون مما بعده، وإلا صارت عادة»، وأزيد على ذلك أن الإنسان قد يمارس عادات السوء سرا، فإن لم يدفع وساوس الشيطان فإن العادة تصير فسوقا أي إعلانا ومجاهرة بالمعصية، فإن لم يدفعها الإنسان فقد يجرفه الشيطان أكثر وأكثر لمواجهة أصحاب الحق والمكارم الأخلاقية، ليكون من الآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف، والمحاربين للدعاة والمصلحين، وفيما يلي رؤية مختصرة تجمع بين ما ذهب إليه ابن القيم وإضافتي المتواضعة:



خطوات الشيطان

الشكل (١١)

هذه المنهجية في فهم فسوق الشيطان عن أمر الله وعداوة الشيطان، ورسالته في

جر عباد الله إلى عذاب الله، وأهدافه من الإنسان في نسيان أمر الله وذكره وإلقاء العداوة بينه وبين من حوله والحض على العري والفسوق وإلقاء الحزن والكآبة واليأس والإحباط في النفوس. وأنه يعمل بالليل والنهار، في الصباح والمساء، قبل العمل وأثناءه وبعده، لصد الإنسان عن الخير والإقبال على ربه والاستعداد لآخرته. ولكن هذه كلها لا توهن عقيدة المسلم الراسخة في ضعف كيد الشيطان أمام ذكر الرحمن، ومخالفة الهوى باستذكار العلم واستصحاب الذكر ومصاحبة الصالحين وعمارة المساجد واليقظة الدائمة في مواجهة هذا العدو اللعين، ثم التوبة الصادقة ولو قبل الغرغرة التي تحيل كل جهوده من الدفع إلى السيئات إلى جبال من الحسنات لقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** ﴾ (الفرقان: ٦٨)، ولم يبق إلا أن يفر الإنسان من الشيطان إلى ربه تعالى ذي الجلال والإكرام لقوله تعالى: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ (البقرة: ٢٦٨-٢٦٩).

الفتنة الخامسة: فتنة العلم:

هناك منهجية واضحة في التعامل مع فتنة العلم التي تصيب كثيرا من أهله وعبر عنها ربنا بقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الزمر: ٤٩)، وقال تعالى على لسان قارون عندما ذكّره قومه بالله: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ (القصص: ٧٨).

هناك دروس واضحة الدلالة على رسم منهجية التعامل مع العلم تبدو فيما يلي:

الدرس الأول:

١ . أن الله تبارك تعالى أخر الوحي خمسة عشر يوما، عندما سئل الرسول ﷺ عن أهل الكهف (تفسير ابن كثير: ٥/١٣٥) وصاحب موسى وذي القرنين، فأجاب النبي ﷺ : أخبركم غداً، ناسيا أن ينسب العلم والمشيئة إلى الله تبارك وتعالى؛ فتلبث وتأخر الوحي خمسة عشر يوما مع ماصحب ذلك من شماتة المشركين، لكن الله أراد مع كل هذه الشماتة التي آلمت النبي حقاً أن يكون درساً للنبي ﷺ والذين معه أن ينسب كامل العلم والمشيئة إلى الله تعالى.

٢ . والدرس الموازي له أيضا ما رواه البخاري بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل، فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا...) (صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: ٧/٩١)، فكانت النتيجة هي هذا الدرس الشديد الطويل العجيب من اتخاذه سبيلا في البحر سربا وعجبا حتى وجد الخضر، ومع كون سيدنا موسى كليم الله إلا أن الله جعله يتبع سيدنا الخضر لأنه أوتي الرحمة قبل العلم، فتعلم منه أن هناك غيبا مكنونا واسعا لا يحيط بعلمه إلا الله تعالى، وأنه قد يفيض على أحد عباده من غير أنبيائه ورسله ما لايعطي نبيا رسولا، كما أن رواية البخاري تشير إلى هذا العصفور الذي أتى وهمَّ في السفينة وأخذ من البحر: «فلما ركبا في السفينة جاءَ عُصفورٌ فوقَعَ على حرفِ السفينة، فنقَرَ في البحر نَقرةً أو نَقرَتَين، قال له الخَضِرُ: يا موسى، ما نَقَصَ عِلمي وعلمُكَ من علمِ الله إلاّ مثلَ ما نقصَ هذا العُصفورُ بمنقارهِ منَ البحر ...» (صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر .. : ٧/٩١).

٣ . يتوازى مع هذين الدرسين ورود أربعة مواطن تنسب العلم إلى الله بصيغة أفعل التفضيل هي كما يلي:

* ﴿ **قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** ﴾ (الكهف : ١٩) .
* ﴿ **ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ** ﴾ (الكهف : ٢١) .
* ﴿ **قل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ** ﴾ (الكهف : ٢٢) .
* ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ (الكهف : ٢٦) .

والنتيجة أن هناك دائما أسرارا كبرى لهذا الكون لايحيط بها أحد، فليسلم العبد نفسه إلى ربه وينسب العلم كله إليه .

٤ . يتوافق مع هذا الختام الذي يدل على فيوضات علم الله عز وجل بما لايحصى ولا تسطره الأقلام ولا تتخيله العقول حيث قال سبحانه : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾ (الكهف : ١٠٩)، ويؤكد ذلك أيضا في آية أخرى : ﴿ **وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (لقمان : ٢٧)، بما يدل على هذا اتساع وانفساح العلم الرباني واختصاصه سبحانه به، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (لقمان : ٣٤)، ويظل هذا الامتداد في العلم والاتساع في الأفق حتى نقف عاجزين أمام قوله تعالى : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ (الأنعام : ٥٩)، بما يورث المسلم يقينا جازما أنه لا يعلم شيئا إلى جوار علم الله، وأن الحقيقة الربانية هي كما قال سبحانه : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء : ٨٥)، ويظل ذو القلوب الحية بالإيمان والعقول الناضجة بالعلم في حالة نهم ودعاء قانت : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ (طه : ١١٤)، وهي ما عبر عنه رسول الله ﷺ : « مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ : طَالِبِ عِلْمٍ، وَطَالِبُ

دُنْيَا » (سنن الدارمي، كتاب النبي، باب في فضل اعلم والعالم :١ / ٩٦) .

٥ . ولايفوت هذه المنهجية أن الأصل في العلم أنه للعمل، وأن العلم أساس التحضر والرقي في جميع العلوم الإنسانية والمادية، وهذه قصة ذو القرنين أكبر شاهد أن الله تبارك وتعالى أفاض عليه من فنون العلم وأسباب القوة ما مكن الله به في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾ (الكهف : ٨٤)، قيل هي أسباب العلم، ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَباً** ﴾ (الكهف :٨٥)، أي حول العلم إلى عمل، وإنتاج لا جدل . فكلمة : ﴿ **أَتْبَعَ سَبَباً** ﴾ (الكهف :٨٩)، تشير إلى أعلى مستوى من توظيف العلم في الإنتاج وتحقيق العدل ومنع الظلم، وما السبائك التي بني منها الجدار إلا أعلى مستوى من علوم الكيمياء الدقيقة في صناعة السبائك المتينة، حيث يساعد الناس في الإتيان بالأدوات المادية وبإشعال النار، لكن ذا القرنين كان يعرف المقادير التي يخلط بها هذه المواد مثل الصيدلاني الحاذق الذي يصنع الدواء بمزج مواد مختلفة بمعايير دقيقة تحول دون أن يكون الدواء داءا أو سما زعافاً .

هذه المنهجية العلمية إذن تفضي إلى النقاط التالية :

(١) أن يكون لدى المسلم دائما كامل التفويض في العلم لله عزوجل .

(٢) الاعتقاد الجازم بأننا مهما وصلنا في ثورة العلم والمعلومات والاتصالات والجينات فما أوتينا من العلم إلا قليلا إضافة إلى علمه سبحانه اللامحدود (محدودية العلم البشري واللامحدودية في العلم الإلهي) .

(٣) العلم يجب أن يهتف بالعمل وإلا ارتحل .

المنهجية العاشرة
الارتقاء في العبادة من الممارسة إلى التذوق

نلاحظ في قصص هذه السورة الجليلة أن هناك ممارسة لدى أصحاب الكهف تتسم بالمجاهدة الشديدة للنفس أن تنساق إلى العرف العام الذي يصبغ الناس جميعا بصبغة الكفر والعصيان، فيهربون إلى الكهف ويدعون الله: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**﴾ (الكهف : ١٠)، وقد ذكر الله تبارك وتعالى مايشير إلى هذا الصراع داخلهم وحولهم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾ (الكهف:١٣،١٤)، وهذه ممارسة للإيمان وواجباته والإيمان ومقتضياته. وإذا انتقلنا إلى القصة الثانية فسنجد هذا التذوق يرتفع إلى مستوى أعلى حيث يقول الصاحب المؤمن لصديقه المشرك: ﴿**لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**﴾ (الكهف : ٣٨)، فلم يقل: لكنا هو الله ربي ولن أشرك به كما هو الأصل في البناء اللغوي إذا ورد الاسم في أول الجملة يعطف عليه بالضمير، لكن العدول عن هذا الأصل اللغوي بها التصوير البلاغي يظهر هذا التذوق الإيماني، حيث ذاق حلاوة الإيمان وذكر ربه، فكرر اسم ربه مضافا إلى نفسه (رَبِّي ... بِرَبِّي) مرتين، ليظهر هذا التعلق الشديد بربه سبحانه.

إذا انتقلنا إلى آخر قصة وهي قصة ذو القرنين فسنجد أعلى درجة من التذوق لدى ذي القرنين حيث ورد لفظ «ربي» ثلاث مرات في جملة صغيرة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً**﴾ (الكهف : ٩٨). فلو قال: «هذا رحمة من ربي أو من الله فإذا جاء وعده

جعله دكاء وكان وعده حقا »، لأدى المعنى الذي يدل على ممارسة الإيمان وليس المعنى الذي يدل على تذوق حلاوة الإيمان في أعلى درجاته.

وإذا جئنا إلى تعميق هذه المنهجية من خلال فقه أحوال النفس والهوى والشيطان مع الفطرة وأوامر الرحمن، فإن الإنسان يحتاج إلى مجاهدة النفس، وصراع الشيطان، ومعاناة مع الهوى كي ينتقل من غفلة القلب، وثقل الجسم، وجفاف الروح، وجمود العقل، وسوء الخلق إلى استحضار القلب، وتحريك الجسم نحو الخير، والتعود على التعلم بالقراءة والاستمتاع، والوصول إلى الأخلاق الحسنة، وطول الممارسة هنا تنقل الإنسان الصادق مع ربه، ذي الهمة مع نفسه إلى صفاء القلب، وصفاء الروح ومكارم الأخلاق، والنهم على طلب العلم، فنجده يسعى إلى أعلى المراتب .

فعلى حين كان لا يصغي إلى صوت المؤذن « الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح »، جاهد نفسه ليكون من زوار بيت الله، وليدرك الصلاة في جماعة في التشهد الأخير، ثم لا يلبث أن يكون من عمار بيت الله، ومن شهود الصف الأول، وفي الليل له سبحات من القيام والقنوت والإخبات، كما يقول سبحانه : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر:٩)، وهؤلاء يصلون إلى مستوى من حب القيام إلى درجة تذوق حلاوة القيام كما قال أحد الصالحين: « جاهدت نفسي في قيام الليل عاما، فذقت حلاوته عشرين عاماً »، وقال أحد أصحاب السير إلى الله في مدارج السالكين إليه: « جاهدت نفسي لأقوم الليل، ثم صرت أجاهد نفسي لأنام »، وهي درجات يقول فيها علماء القلوب : « حسنات الأبرار سيئات المقربين »، وهؤلاء المقربون ندرة إذا قورنوا بأصحاب اليمين، وهؤلاء يختلفون قطعا عن أصحاب الشمال، ويكون توضيح هذه النقلة في الصورة التالية:

غفلة القلب	استحضار القلب	حضور القلب
أصحاب الشمال	أصحاب اليمين	المقربون
أصحاب الغفلة	أصحاب الطاعة	أهل الإحسان
لانؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه	لا أزيد ولا أنقص	إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك ..

والصحابة رضوان الله عليهم انتقلوا بقوة من الشرك والكفر والعصبية الجاهلية إلى أن مارسوا الطاعات بعقولهم وقلوبهم وأبدانهم حتى ذاقوا حلاوة الإيمان، ووصلوا إلى مراحل تبدو من الأحاديث التالية:

١) روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أنه جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَنْتُمْ الَّذِي قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب على النكاح).

٢) وروى البخاري بسنده عن سعد بن أبي الوقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مرضت بمكة مرضا، فأشفيت منه على الموت، فأتاني النبي ﷺ يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قال: قلت: فالشطر؟ قال: لا. قلت: الثلث؟ قال: الثلث كبير..»، (مرضت بمكة مرضا...، صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث البنات، حديث رقم: ٦٣٥٢).

٣) جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش

العسرة ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ» (سنن الترمذي: باب في مناقب عثمان بن عفان).

٤) روى البيهقي بسنده أن عمرو بن الجموح رضي الله عنه لم يفرض عليه القتال ولم يكفه أن أربعة من أولاده في مواقع النزال والقتال لكنه ذهب يستجدي سيدنا محمدا ﷺ أن يشهد معه القتال قائلا: «والله إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَأَ بِعرْجَتِي هذِهِ فِي الجنةِ». (سنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة: ١٣ / ٢٣٩).

٥) أن علياً وفاطمة ظلا ثلاثة أيام في جوع متصل حيث أنفقا كل ما يملكان لمسكين ثم يتيم ثم أسير كما ذكر الرازي في تفسيره لأسباب نزول الآيات من سورة الإنسان: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾ (تفسير الرازي، تفسير للآية ٨ من سورة الإنسان: ٣٠ / ٧٥٠)، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رآه قومه في شحوب جسد، وشدة إجهاد طلبوا إليه أن يستريح بعض الوقت فكان يقول: «إذا نمت بالنهار أضعت رعيتي، وإذا نمت بالليل أضعت نفسي».

وهذه صور من الصحابة في تذوقهم للعبادة:

(أ) سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يرسو قلبه على شاطئ البكاء في الصلوات، والبذل لكل ما يملك في المُلمات.

(ب) وهذا سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: «لولا ثلاث ما أحببت المقام في هذه الدنيا، مكابدة الساعات (القيام) وصوم الهواجر (في الحر)، ومخالطة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى الآكل أطايب الثمر».

(ج) وهذا سيدنا علي رضي الله عنه لا يحب الدنيا إلا لثلاث: «ضربة بالسيف، وإكرام للضيف، وصوم بالصيف».

(د) أما معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد ذكر على فراش الموت دعاءً ندياً يدل على قمة التذوق للعبادة فقال: «اللهم إني كنت أخافك، وإني اليوم أرجوك،

اللهم إنك تعلم أني ما طلبت الدنيا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، ولا لبناء الدور، ولا لعمارة القصور، لكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، وتعلم العلم وتعليمه الناس، والجهاد في سبيلك، مرحباً بالموت، حبيب جاء على فاقة» .

(هـ) وهذا العباس رضي الله عنه يترك المبيت بمنى في ليالي التشريق لأن عبادة السقيا للحجيج، وإعداد موائد الطعام من الزبيب والتمر والعسل والماء عنده أكثر أثراً في نفسه، ونفعاً لمجتمعه، وأذن له النبي ﷺ .

(و) وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يترك اعتكافه في مسجد النبي ﷺ لقضاء حاجة مسلم جاء يطلب شفاعة في تأخير سداد دينه، شغفاً بقضاء الحاجات والسعي لتخفيف الكربات عن عباد الله تعالى .

هذه الأمثلة مع ما ورد في سورة الكهف من انتقال أصحاب الحق من ممارسة العبادة إلى تذوقها، سواء لدى أصحاب الكهف أو الصاحب المؤمن أو ذي القرنين، هي علامات على الطريق للسالكين إلى الله تعالى أن يكون يومهم مع الله خيراً من أمسهم، وغدهم إن شاء الله أفضل، ومن هذه النقلات من الممارسة إلى التذوق ما يلي :

(١) من قراءة القرآن فقط إلى التدبر والتأثر والتغير والبكاء عند تلاوته .

(٢) من إخراج زكاة المال فقط إلى الإنفاق بالليل والنهار، ومن حب العطاء إلى عطاء الحب .

(٣) من كظم الغيظ والعفو عن المسيء، إلى الإحسان إليه ابتغاء وجه الله تعالى .

(٤) من خطبة تصح بها الصلاة إلى خطبة تصنع بها الحياة .

(٥) من زيارة المرضى أداء لواجب الأخوة إلى معايشة معنى مارواه مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟» (صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض : ١٦/ ١٠٧).

(٦) من أداء الفرائض إلى النوافل ومنها إلى صبغة الله تعالى في كل شيء.

(٧) من قراءة الملخصات، ومذاكرة المقررات إلى الغوص في بحار العلم والمنهج الجديد النافع في كل المجالات.

(٨) من العدل في أداء الحقوق الزوجية إلى بذل الفضل مع قمة الحب القلبي والتفاهم العقلي، والتناغم الجسدي .

(٩) من مدارس إسلامية تحفظ أولادنا من الفتن إلى صناعة قادة المستقبل.

(١٠) من حج نرجو به الخلاص الفردي في غفران الذنوب كيوم ولدتنا أمهاتنا إلى حج يؤدي إلى التمكين والخلاص الجماعي من أسر الأعداء لنعود كما كنا سادة العالم، وشهداء إلى الناس .

وهذا مشوار طويل شاق يعرفه أرباب السلوك، ويعشقه أصحاب القلوب، ويهيم به ذو الهمم العظيمة، ونرجو أن نكون منهم .

هذه الشواهد تشير إلى قوم انتقلوا من الغواية إلى الهداية ثم قمة الرغبة في إرضاء الله عز وجل، فاحتاجوا إلى أن يردوا إلى التوسط والاعتدال والتوازن بين مطالب الجسم والروح، الفرد والمجتمع، الغني والفقير، وهذا ما صار ﷺ يعالجه في أصحابه، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر و بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « أحب الصيام إلى الله صيام داود : كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود : كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه » (صحيح للبخاري، كتاب الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود...: ٧ / ١٢١) .

وانجلى مجتمع الصحابة عن قوم مارسوا شعائر الإيمان ووجوه البر، وصنائع المعروف مع مجاهدة للنفس أن يتخلصوا من عاداتهم القديمة، وجاهليتهم الأولى ليمارسوا ألوان الطاعات بقلوب حية قوية، ثم انتقلت من استحضار القلب إلى حضور القلب، فصاروا يمارسون العبادة في ليلهم ونهارهم، جولاتهم وخلواتهم، حربهم وسلمهم، صلواتهم ومداعبتهم لأهلهم، صار حسهم حاضراً في كل ما دقّ وجلّ، ومن هذه المواقف العملية القوية ما يُروى أن علياً رضي الله عنه كان يبارز عمرو بن عبد ودّ، وسقط هذا المشرك بين قدميه، فلما هم بقتله تفل في وجهه،

فتركه الإمام علي بن أبي طالب على الفور، ونادى صحابياً آخر ليكمل المبارزة ، فقيل له: لماذا تركته وكان بين قدميك؟!، فقال: «كنت أقاتله في سبيل الله فخشيت أن أقتله لحظ نفسي» (سنن الكبرى للبيهقي : ١٣ / ٤٧٠) .

وهذه قمة الحضور للقلب، ومواجهة هوى النفس، والتسليم المطلق لله والسعي لإرضائه في كل لحظات الإنسان العادية والحادة، وهي قمة التذوق للإخلاص والتجرد لله تعالى.

عموماً لو تتبعنا الصحابة فسنجد هذه المرتبة العالية من التذوق حيث عاشوا مع الطاعات كلها بقلوبهم فرسا قلب كل واحد على شاطئ من محطات البر يربط شباك قلبه بحبل الله المتين.

المنهجية الحادية عشر

منهجية كلمات ربي تدلني على ربي

هناك نظرة سريعة تفضي إلى أن الحديث عن الله تعالى في سورة الكهف سواء بلفظه أو بصفاته أو بأسمائه قد لاتزيد عن ثلاثين مرة، لكن لو حاولنا أن ندخل على القرآن بالعقل تدبرا، وبالقلب تأثرًا، وبالنفس تغيرًا، فإننا سنجد أن عدد مرات الحديث عن الله تبارك وتعالى بلفظ مباشر نصًا أو بدليل الإشارة أو بالضمير الظاهر أو المستتر جوازًا أو وجوبًا، فإن هذا التعداد غير المعجمي يصل إلى أكثر من ١٦٥ موضعًا.

ولكي يتضح الفرق بين النظرة السريعة ونظرة التأمل في الوصول إلى الله تعالى من خلال القرآن عامة وسورة الكهف خاصة، فإن النظرة السريعة قد توصل الإنسان إلى الله من خلال النص الصريح على لفظ الجلالة أو صفاته أو أسمائه مثل الرحمن، الخبير، العليم، إله، رب، الخ.

أما نظرة التأمل فإنها تستقصي – مع ما سبق – كل ما يشير إلى الله تعالى في الآيات من الضمائر الظاهرة والمستترة وجوبا أو جوازا أو التلميحات وأسماء الموصول والإشارة التي تدل بشكل مباشر أو غير مباشر على الله تعالى، وفيما يلي سوف أطبق هذه المنهجية على عدد من الآيات في سورة الكهف كما يلي:

الآية الأولى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾ (الكهف: ١).

النظرة السريعة على الآية تفضي إلى أن الحديث عن الله تعالى قد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ لكن نظرة التأمل قد ترى إن الله تعالى ورد في هذه الآية ٥ مرات:

١. اللفظ الصريح ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾.

٢ . الاسم الموصول ﴿ **الَّذي** ﴾ ويدل مباشرة على الله تعالى .

٣ . هناك إشارة إلى الله تعالى في الضمير المستتر وهو الفاعل للفعل ﴿ **أَنزَلَ** ﴾ .

٤ . ذكر الله تعالى في الضمير ﴿ **عَبْدِه** ﴾ أي عبد الله .

٥ . الفاعل المستتر جوازا في فعل ﴿ **يَجْعَل** ﴾ يدل على الله تعالى .

إضافة إلى ما سبق إذا أردنا أن نمعن النظر أكثر فإننا نرى ربنا سبحانه وتعالى في كل كلمة، فكلمة ﴿ **الْحَمْدُ** ﴾ ترتبط في وجدان كل مسلم بتدبر نعم الله عليه، وعجز المسلم عن إحصائها، فيطلق هذه الكلمة تعبيرا عن هذا العجز في الشكر على نعمٍ قليلة يدركها العبد، ونعمٍ أكثر لايدركها، ولايعبر عن هذه الحالة إلا كلمة ﴿ **الْحَمْدُ** ﴾، على العكس من كلمة الشكر التي تدل على ثناء العبد على الله على نعمة محددة يدركها . والحد الأدنى من العبد هو الشكر، والأعلى هو الحمد، إذ فيه تفويض حجم النعم إليه سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى . وكلمة ﴿ **أَنزَلَ** ﴾ تعني أن الله هو الذي أمر بإنزال الكتاب في قوله : ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ﴾ (الإسراء : ١٠٥)، كما أن فيها بيان علو مقام الرحمن فتنزل منه الآيات إلى عباده . وكلمة العبد تدل على الله لأنها تعني كامل الخضوع والاستسلام والانقياد ليس إلا له سبحانه، وكلمة ﴿ **الْكِتَابَ** ﴾ الله هو الذي جعل الألف واللام هنا تدل على العهد بين الله وعباده أن هذا هو الكتاب الأول في علم الله وفهم العبد . والحرف « لم » فيه معنى قوله تعالى : ﴿ **يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ (الرعد : ٣٩)، فهو سبحانه الذي يثبت الشيء للشيء أو ينفيه عنه . وكلمة يجعل تدل على القدرة الإلهية في تبديل وتحويل وتغيير أي شيء (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، واللام هنا تفيد الملك، وهو سبحانه له الملك كله، وهو الذي يمنح الملكية المؤقتة ثم إليه يرجع الأمر كله . وكلمة عوج فيها مايدل على الانحراف عن منهج الله المستقيم وهو المعيار الذي يعتبر عكسه عوجا، كما قال سبحانه : ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

الآية الثانية : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ (الكهف:٢٧)، في التعداد المعجمي لن نجد شيئا يشير إلى الله إلا مرة واحدة في كلمة ﴿ رَبِّكَ ﴾، أما في نظرة التأمل فإن الحديث عن الله قد ورد ٦ مرات.

١ . الإشارة المستترة جدا في الفعل المبني للمجهول ﴿ أُوحِيَ ﴾ فإذا كان نائب الفاعل المستتر هو القرآن فإن الفاعل الأصلي هو الله تعالى الذي أوحى به.

٢ . كلمة ﴿ رَبِّكَ ﴾ .

٣ . الضمير المتصل في ﴿ كَلِمَاتِهِ ﴾ أي يعود إلى الله تعالى.

٤ . الضمير المتصل في كلمة ﴿ دُونِهِ ﴾ .

٥ . كلمة ﴿ مُلْتَحَداً ﴾ فهي تشير إلى صفة من صفات الله تعالى وهي الوحدانية التي يلجأ إليها الخلق جميعا.

ومع مزيد من عمق التأمل سنرى الله تعالى في كل كلمة، كما أن التلاوة أصلا تنصرف إلى قراءة كلام الله ﴿ وَاتْلُ ﴾ ، كما أن القدرة على التلاوة منه تعالى لقوله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (النساء : ١١٣)، وكلمة ﴿ مَا ﴾ اسم موصول بمعنى الذي يدل على الله عز وجل، وكلمة ﴿ أُوحِيَ ﴾ فيها دلالة خاصة على طبيعة التواصل بين الله تعالى ورسله عليهم السلام أجمعين، وكلمة ﴿ إِلَيْكَ ﴾ تشير إلى اختصاص الله نبيه ﷺ بهذا الوحي، وكلمة ﴿ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ تعني التبعيض، والله تعالى هو الذي قسَّم الكتاب إلى سور وآيات ومقاطع، فهو أمر توقيفي لا اجتهادي، وكتاب ربك ظاهرة الدلالة عليه سبحانه وتعالى.

كلمة (لا) و(لَن) في الآية تشير إلى النفي المؤقت والدائم، وتحديد علمه إلى الله تعالى الذي علم آدم الأسماء كلها. وعبارة ﴿ لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ تشير إلى حفظ الله لكتابه وعصمته له عن التبديل لأي من كلماته، والكلمات هي لغة أنعم الله بها على عباده كي يتفاهموا بها ولايتم ذلك إلا بقدرته وعلمه، قال تعالى: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور:٤١). كلمة

﴿ تَجِدَ ﴾ لا يجد الإنسان شيئا من الأشياء أو الأفكار أو الأشخاص إلا بالأدوات التي منحها الله الإنسان من حواس كالسمع والبصر واللمس والشم .. الخ، وكلمة ﴿ دُون ﴾ تشير إلى أن الله تعالى وحده الذي يرتب المنازل فهو سبحانه في أعلاها وكل شيء دونه.

الآية الثالثة : ﴿ ويوم نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وترى الْأَرْضَ بَارِزَةً وحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ (الكهف: ٤٧).

النظرة السريعة قد تحكم بأن هذه الآية تخلو من الحديث عن الله تعالى لعدم ورود اللفظ مباشرة بلفظ الجلالة أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته. على حين نرى بالتأمل أن هناك إشارات واضحة إلى الله تعالى، وبيانها كالتالي:

١ . الفاعل في كلمة ﴿ نُسَيِّرُ ﴾ ضمير مستتر وجوبا أي الله سبحانه وتعالى.

٢ . والفاعل في كلمة حشرناه ﴿ نَا ﴾ الدالة على الفاعلين وهي تدل على الله فاعل هذا الحشر.

٣ . كلمة ﴿ نُغَادِرْ ﴾ فيها أيضا إشارة إلى الله في الضمير المستتر وجوبا تقديره نحن.

أما التفحص الأعمق في الآيات ففي كل كلمة نرى الله تعالى، فكلمة يوم هو جزء من الدهر والحديث: «لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر» (مسند الإمام أحمد: ٦ / ٤٠٦)، وهو الذي يقدر الليل والنهار والأيام والليالي، وقدر عدد السنين والحساب، وكلمة ﴿ نُسَيِّرُ ﴾ في خضوع الكون لتسييره وإرادته وقدرته وحده، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (يونس: ٢٢) وكلمة ﴿ الْجِبَالَ ﴾ تشير إلى هذا المخلوق العظيم كما في قوله تعالى: ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ (النازعات: ٣٢) وجعلها أوتادا ورواسي ومع هذا تتحرك بأمره وتمر مر السحاب ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٨٨).

كلمة ﴿ **وَتَرَى** ﴾ تشير إلى النعم الربانية التي يرى بها الإنسان الرؤية بنوعيها البصرية والعقلية عن طريق السمع والبصر والفؤاد كما قال سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (النحل : ٧٨)، أما الأرض فهي المخلوق الذي فتقه الله من السماء وذللها للإنسان فقال سبحانه: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (الملك : ١٥)، ﴿ **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ** ﴾ (فصلت: ١٠)، وجعلها مرتعاً لطعام الإنسان والحيوان لقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾ (عبس :٢٤-٣٢)، وأسكن فيها المياه: ﴿ **فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾ (المؤمنون:١٨)، ﴿ **وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ** ﴾ (الذاريات : ٤٨)، ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ (الأنبياء : ٣١)، وجعلها كفاتا أحياءا على ظهرها وأمواتا بين طياتها. كلمة ﴿ **بَارِزَةً** ﴾ تشير إلى فعل الله تعالى في أن تأتي هذه الأرض لتنفض كل ما في بطنها لتدفعهم إلى الحشر والنشر بأمره سبحانه، لقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ (النمل : ٨٧)، ثم تحدث أخبارها أي تخبر بما حدث عليها من خير أو شر من الإنس أو الجن أجمعين: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ** ﴾ (الزلزلة : ٤-٧).

أما كلمة ﴿ **وَحَشَرْنَاهُم** ﴾ فالله تعالى وحده هو الذي يحدد يوم الحشر ومكانه وزمانه وكيفيته وتقسيم الخلائق بين يديه يوم الحشر: ﴿ **فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** ﴾ فهذا قرار رباني ينفي أن يترك أحدا من الإنس أو الجان من غير حساب أو عقاب.

وكلمة ﴿ **أَحَدا** ﴾ تشير إلى قدرة الله على جمع الإنس والجن يوم الحشر والنشر.

الآية الرابعة : ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾ (الكهف : ٨٤) .

النظرة السطحية أو المعجمية قد تشير إلى أن الله تعالى لم يذكر في هذه الآية، وبقليل من التأمل سنجد أن الله تعالى مذكور فيها ٣ مرات كما يلي :

١ . ﴿ **إِنَّا** ﴾ اسم إنا هو (نا) الدالة على الفاعلين وهو الله تعالى الذي يتحدث عن نفسه بلسان العظمة .

٢ . ﴿ **مَكَّنَّا** ﴾ الفاعل هنا هو أيضا (نا) الدالة على الفاعلين وهو الله تعالى .

٣ . ﴿ **وَآتَيْنَاهُ** ﴾ الفاعل هنا أيضا (نا) الدالة على الفاعلين وهو الله تعالى .

وبنظرة من التأمل أعمق سنجد أن كل كلمة تصلنا بالله ربنا، فالتوكيد في ﴿ **إِنَّا** ﴾ يعني أن الله تعالى يريد أن يؤكد على أصل التمكين إلى ذي القرنين من الله وليس إلى ذي القرنين . وكلمة ﴿ **مَكَّنَّا** ﴾ تعني أن الله تبارك وتعالى هو الذي أعطى ذو القرنين أسباب القوة والسلطة والثروة والحركة، وكلمة (له) تفيد ملكية استخلاف مؤقتة من الله تعالى لذي القرنين، كما عبر عن ذلك ذو القرنين بقوله : ﴿ **هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي** ﴾ (الكهف : ٩٨)، وكلمة في الأرض تشير إلى إرادة الله إلى أن التمكين والاستخلاف المؤقت في الأرض دون غيرها من الكواكب، حيث إن إرادة الله : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (البقرة : ٣٠)، وكلمة آتيناه تفيد تقدير ربنا لحجم القوة والتمكين من الله تعالى لذي القرنين .

﴿ **مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** ﴾ (الكهف : ٤٨)، تفيد اختصاص الله بكل شي لكنه بحكمته وتقديره يعطي جزءا من أسباب التمكين والعلم، وهو سبحانه وتعالى : ﴿ **يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ** ﴾ (البقرة : ٢٦٩)، و﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾ (الشورى : ٤٩)، ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (القصص : ٦٨)، فيعطي كل إنسان من الأسباب التي تمكنه من أداء وظيفته من الخلق وهي إفراد الله في العبودية وعمارة الأرض .

الآية الخامسة : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ (الكهف : ١١٠).

النظرة العامة تشير إلى أن اسم الله تعالى ورد في هذه الآية أربع مرات في كلمة : (إِلَهُكُمْ ـ إِلَهٌ ـ رَبِّهِ ـ رَبِّهِ)، لكن النظرة المتفحصة تشير إلى أن العدد أكثر من ذلك ويبدو فيما يلي :

(١) كلمة ﴿ **يُوحَى** ﴾ بالمبني للمجهول فيها إيحاء إلى الله الذي أوحى إلى عبده ما أوحى .

(٢) كلمة ﴿ **وَاحِدٌ** ﴾ هي تشير إلى صفة من صفات الله تعالى واسم من أسمائه أنه الواحد الأحد سبحانه وتعالى.

أما إذا أمعنا النظر أكثر فسنرى الله تعالى في كل كلمة حيث إن الآمر هو الله تعالى لنبيه ولأمته في قوله: ﴿ **قُلْ** ﴾ والإنسان لا يستطيع أن يقول قولا إلا بأدوات القول من اللسان، والعقل، وحركات جهاز النطق، وهي كلها من الله تعالى الذي أنطق كل شيء، وكلمة ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ كما ذكرنا تفيد أن الله تعالى يريد توكيد هذه الجملة الخبرية بعدها، كلمة ﴿ **أَنَا** ﴾ هي تذكر برسول الله ﷺ وإذا ذكر الرسول ﷺ كان مضافا إلى ربه، ومع الصلاة على رسول الله ﷺ تعود مرة ثانية لذكر الله تعالى، وكلمة ﴿ **بَشَرٌ** ﴾ تشير إلى الله تعالى الذي يقول : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً** ﴾ (الفرقان:٥٤)، وكملة مثلكم فيها إشارة إلى أن الله تعالى هو وحده الخالق الذي خلق التشابه والاختلاف، وحدد ما يتشابه فيه الخلق جميعا جسدا وخلقا وفطرة وروحا، وما اختلفوا فيه من الشكل والصوت وبصمة اليد، ﴿ **يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ الوحي من الله موجها إلى الرسول ﷺ ليس إلى غيره، وكلمة ﴿ **أَنَّمَا** ﴾ إعادة توكيد من الله، وكلمة ﴿ **فَمَن** ﴾ تشير إلى الإنسان الذي خلقه الله تعالى كما

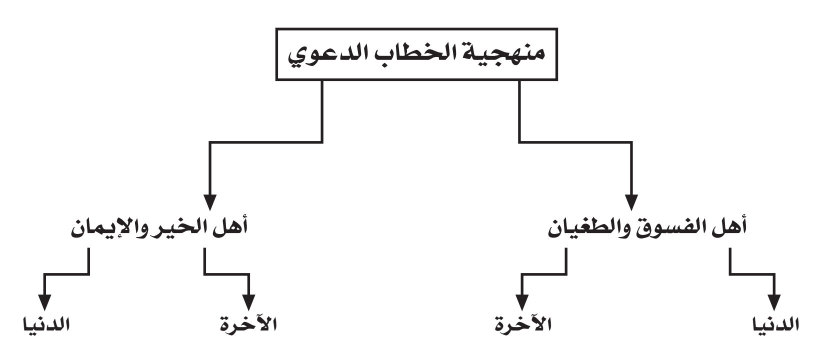
قال سبحانه : ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾(الإنسان : ٢)، وكلمة ﴿ **يَرْجُو** ﴾ فيها فعل الرجاء في ذات الله، وهو تعبير عن فعل الرجاء والأمل فيه سبحانه، ومن صفات الإنسان كما خلقه الله أنه صاحب اختيار وليس مسيراً في اختيار طريق الهداية لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾ (الإنسان : ٣)، و ﴿ **لِقَاء رَبِّهِ** ﴾ لقاء الله تعالى من أحسن ما يسعى المؤمن إليه أن يكون لقاء الرضا والعفو والمغفرة، ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً** ﴾ هو أمر من الله إلى عباده الراغبين في لقائه سبحانه، والعمل هو تصرف من العبد ولا يكون إلا باستخدام نعم الله تعالى في نفسه وفي الكون الذي سخره له، أما ﴿ **صَالِحاً** ﴾ فتذكر بالله تعالى، فإنه سبحانه هو الذي حدد بالوحي قرآناً وسنة كون العمل صالحا أو فاسدا، حقا أو باطلا، خيرا أو شرا. أما كلمة ﴿ **وَلَا يُشْرِكْ** ﴾ تفيد أن الله تعالى لا يقبل أن يكون له ندٌّ أو عدلٌ أو شريك في عباده بمعنى أصح أن العبد لا يمكن أن ينال رضا الله وعباده معا في كل تصرف، بل يرضي الله ولو سخط عباده، لأن الخالق هو القائل : ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ (النحل : ١٧)، وكلمة ﴿ **بِعِبَادَةِ** ﴾ تفيد أن هناك كامل الاستسلام والذل لله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً** ﴾ (الأحزاب : ٣٦)، وكلمة ﴿ **أَحَداً** ﴾ يفيد أن الله تعالى لا يقبل جنس الآحاد والأفراد والمخلوقات أن يشاركوه في قلب عبده الذي يرجو لقاءه.

هذه مجرد أمثلة سريعة تفيد أن عمق التدبر، وطول التأمل يفضي إلى أن المحور الرئيس الذي يتكرر في كل كلمة، وليس في كل آية هو الله تعالى بأسمائه أو صفاته مما يوجب أن يظل هو المحور الرئيس من كل قراءة للقرآن حتى يعود الناس إلى ربهم دون غيره.

المنهجية الثانية عشر
منهجية الخطاب الدعوي

إذا تعمقنا في فهم الخطاب الدعوي في السورة سنجد أن لغة الخطاب تختلف وفقا للمقام، فلكل مقام مقال، ولكل قوم مايناسبهم، ويتضح ذلك مما يلي:

خطاب أهل الفسوق والطغيان يختلف عن خطاب أهل الخير والإيمان، ويتضح ذلك من الرسمة التالية:



الشكل (١٢)

في هذا الخطاب من ذي القرنين إلى أهل المغرب عندما حدَّث أهل الفسوق والعصيان قدم العقوبة في الدنيا بأن من ظلم سوف يعذب بالعقوبات الشرعية القانونية مثل الحدود والقصاص والتعزيرات، فإذا انتقل إلى الآخرة فسيلقى من الله عذابا نكرا، لأن الفاسق لايخشى عقوبة الآخرة، فقدمت العقاب الدنيوي على العقاب الأخروي لأنه لو خاف العقاب الأخروي؛ ما ارتكب جرمه، لكنا نجد هذا الخطاب يختلف مع أهل الإيمان حيث نجد المنهجية انعكست فلم يبين لهم جزاء الدنيا قبل الآخرة، بل على العكس بين الجزاء الأخروي على الدنيوي في قوله: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءِ الْحُسْنَى** ﴾ (الكهف: ٨٨)، أي في

الآخرة، ثم أعقبه بالجزاء في الدنيا ﴿ **وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً** ﴾ (الكهف :٨٨)، لأن أهل الإيمان غايتهم الكبرى إصلاح آخرتهم وآمالهم الصغرى إصلاح دنياهم.

نلحظ إذن أن ذا القرنين قدم لكل فريقٍ مايهتم به أكثر، فأهل الفسوق مشغولون بعمارة دنياهم فأنذرهم بالعذاب فيها قبل عذاب الآخرة، أما أهل الإيمان فمشغولون بعمارة آخرتهم فقدم الجزاء الحسن في الآخرة قبل الدنيا. وهذا من أروع مايستنبط في منهجية الخطاب الدعوي، فخطاب التأسيس للإيمان غير خطاب الترسيخ له، فمثلا عندما ندرس الإعجاز العلمي للقرآن والسنة نقدم الحقيقة (لا النظرية) العلمية التي تتوافق مع صريح القرآن والسنة، نقدمها أولا لغير المسلم لنصل به إلى الإيمان بالوحي قرآنا وسنة، فننتقل به من الكفر والشك والجحود والنكران إلى حق اليقين والإيمان.

أما إذا عدنا إلى الحقيقة العلمية مع أهل الإيمان فإننا نذكر النص أولا ثم نتبعه بهذه الحقيقة العلمية لنصل بهم إلى الاطمئنان بعد الإيمان تماما كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ (البقرة : ٢٦٠)، فإبراهيم كان قد وصل إلى اليقين، كما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ (الأنعام : ٧٥)، لكنه بعد هذه الحقيقة القطعية التي رآها رأي العين وصل إلى عين اليقين وكمال الإيمان والاطمئنان.

ولو أن علماء الكلام ظلوا على منهجيتهم في استخدام الأدلة العقلية مع غير المسلمين ليصلوا بهم إلى الإيمان بصحة النصوص النقلية لظل لهذا العلم ثراؤه لأمتنا الإسلامية، لكن عندما عادوا للأدلة العقلية والمنطقية بالجدال بين أبناء الأمة الإسلامية كثرت الفرق واتسعت الهوة ومزقت الأمة وانهارت القوة وكرَّ عليها أعداؤها بعد فرٍّ، وانقلبت أداة الخير إلى شرٍ، تمزق الأمة كل ممزق، والسبب الرئيسي هو عدم إدراك منهج الخطاب الدعوي.

ولعلي أذكر هنا قصة حدثت معي في الشهور الأولى من إقامتي في الولايات المتحدة الأمريكية حيث اشتكى أحد الشباب المسلم أباه بأنه رجعي متخلف لايسمح له بأن تزوره صديقته الخاصة (Girlfreind) وينفرد بها في غرفته الخاصة، فاستحضرت على الفور حديث النبي ﷺ وبادرته بما أحفظه من الحديث الذي رواه صاحب مجمع الزوائد بسنده أن شابا أتى النبي وقال رخص لي في الزنا يا رسول الله، فقال له ﷺ :

« أتحبه لأمك؟ .... أفتحبه لابنتك؟ .... أفتحبه لأختك؟....... أتحبه لعمتك ؟..... أتحبه لخالتك؟ وفي كلٍ كان يقول : لا. فوضع النبي ﷺ يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه » (مجمع الزوائد للهيثمي، ص١ / ١٣٤)، فقاطعني وفاجأني بقوله:

« (This is her business not my business!) هذه حريتها وشأنها الخاص وليس شأني! » . فأدركت على الفور أن هذا الحديث لا يصلح إلا لذوي النخوة والرجولة، والغيرة والمروءة، وليس لمثل هذا الشاب الذي تشبع بالفكر الغربي الذي لايغار فيه أحد على آخر. وعلى الفور غيَّرتُ لغة الحديث إلى المخاطر النفسية والجسدية على العلاقات المفتوحة والمفضوحة بين البنين والبنات من العقد النفسية والأمراض الجنسية مثل الإيدز، والسيلان، مرض الهربس، الجرب، الفطريات والالتهابات، الخ..).. فهذه اللغة الوحيدة التي يمكن أن تخيف أمثال هؤلاء. وشبح الأمراض لا الخوف على النفس جسديا فقط هو الذي يمنع بعضا من الغربيين من الانخراط في هذا السعار الجنسي، ليس كما كان سيدنا يوسف عليه السلام يُدعى إلى المعصية فيمنعه أمران: أمر إيماني وآخر أخلاقي، قال تعالى: ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ** ﴾ (يوسف : ٧٩). الأمر الإيماني هو الخوف من الله، والأمر الأخلاقي هو عدم اللياقة أن يخون زوج الذي أكرمه وبالغ في الإحسان إليه وأن من الظلم أن ينفق رجل على امرأته ويستمتع بها غيره أو أن ترفل امرأة في نعيم رجل وتمتع غيره.

والسيدة مريم البتول عندما عرض لها جبريل الرسول ليهب لها من الله غلاما زكيا، تذرعت بالتوسل إليه بالله لا بغيره قالت: ﴿**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن منكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً**﴾ (مريم : ١٨)، فطمأنها بقوله: ﴿**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً**﴾ (مريم : ١٩).

هذه الفروق الجوهرية يجب أن يدركها رعاة الدعوة الإسلامية فيخاطبون كلا بما يناسبه، حيث إن طرائق تأسيس الإيمان تختلف قطعا عن ترسيخه.

نلحظ أيضا ونؤكد ثانية على ضرورة أن يختلف الخطاب الدعوي مراعاة مع الظرف الخارجي، فعلى حين كان منهج أصحاب الكهف هو: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً**﴾ (الكهف : ١٩) والتزام الحركة السرية الهادئة جدا، سنجد هذه اللغة تنتقل إلى الحوار المعلن مع قصة الصاحبين، ويذكِّر الصاحب المؤمن صديقه الكافر أو غير المسلم بأصل خلقه وأن الله هو الذي سواه رجلا ومنحه هذه النعمة وبين له البديل الشرعي: (ماشاء الله لاقوة إلا بالله) وأنذره وحذره من التمادي في الشرك مما يؤدي إلى المحق والقحط والجفاف. فإذا انتقلنا إلى ذي القرنين فسنجد لغة أخرى ينصهر فيها الحق مع القوة: ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾ (الكهف:٩٥)، وتتآزر العدالة مع السلطة فيتوعد من ظلم بالعذاب والعقوبات، ويعد من أحسن بالخيرات، ويوقف بغي يأجوج ومأجوج بالسدود المانعات. وإذا كانت هذه لغة الخطاب بين المسلمين وغيرهم، فإننا نلحظ أيضا لغة الخطاب بين مسلمين من خيرة عباد الله (سيدنا موسى والخضر) تختلف باختلاف موقع كل منها، مع أن موسى عليه السلام قد اصطفاه الله برسالاته وكلامه، لكنه عندما تعامل مع الخضر تعامل كتلميذ وعامله الخضر كأستاذ، فموقع التلميذ مع أستاذه اتسم بالرجاء في قوله: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾ (الكهف : ٦٦)، والاستجداء: ﴿**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً**﴾ (الكهف : ٧٣)، لكننا نجد على الجانب الآخر لغة الأستاذ الحاسمة:

﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً**﴾ (الكهف : ٦٧-٦٨)، وعندما انطلقا معا بدأ بالتذكير لما سأله عن خرق السفينة : ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ (الكهف : ٧٢)، ثم ارتفع بدرجة حرارة الخطاب إلى العتاب، فقال لما سأله عن قتل الغلام : ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ (الكهف : ٧٥)، ثم لما سأله الثالثة عن إقامة الجدار كان قاطعا حاسما بقوله : ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ (الكهف : ٧٨)، وانتهت القصة كلها بها الحسم ﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ (الكهف :٨٢).

فهل يتصرف المسلم الداعية بلغة الخطاب وأسلوب الدعوة بهذه المنهجية الدقيقة فيخاطب الحاكم والأستاذ والأب بغير مايخاطب به زوجته أو قريبه أو صديقه، وهذا كله يختلف عما يخاطب به أبناءه أو تلاميذه أو من يعمل عنده!

أحسب أن ذكاء الداعية يوجب عليه أن يختار لكل شخص مفاتيح من الأقوال والأفعال تختلف باختلاف المقام والزمان والأشخاص والأحوال. مثل الفتوى ـ في الفروع ـ التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف والأحوال.

المنهجية الثالثة عشر

منهجية الاختيار بين المتقابلات والأضداد

من روائع البيان، وفصيح اللسان، أن تصاغ آيات القرآن في عرض شيق يستهوي العقول والجنان، ويملك على كل ذي حس من الإنس والجان، كل ذرة من ذرات جسده وعقله وقلبه، وذلك بعرض المتقابلات والأضداد في صورة توقف الإنسان أمام اختيار بينها، والعرب تقول «بالضد تتميز الأشياء» ويقول الشاعر:

ضدان لما استجمعا حسنا .·. والضد يظهر حسنه الضد

وهذا جدول يبين أكثر هذه الأضداد والمتقابلات، ويبقى على كل قارئ أن يختار أين يذهب، وأي الطريقين يختار، واليقين الذي لا يتطرق إليه أدنى شك أن تمام العبودية في أن يختار الإنسان ما اختاره الله له وأن يؤثر مراد الله على مراده، وأن يجنح دائما إلى تطويع هواه ليكون سلَما لما يرضي الله، لقوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ (القصص: ٦٨)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

والآن نستعرض هذه السورة الرائعة من البيان والبلاغة في المتقابلات الكثيرة، لنخرج منن نشوة البيان إلى مجاهدة النفس والصراع مع الشيطان في النزول إلى اختيار الرحمن.

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
١	عوجا، قيما	قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** ﴾ (١-٢)

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
٢	الإنذار والتبشير	قال تعالى : ﴿ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً من لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾ (٢)
٣	الزينة، صعيدا جرزا	قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ (٧-٨)
٤	النوم، البعث واليقظة	قال تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ (١١-١٢)
٥	التوحيد والشرك	قال تعالى : ﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً * هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ (١٤-١٥)
٦	ضيق الكهف، سعة الرحمة	قال تعالى : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ﴾ (١٦)
٧	اليمين والشمال	قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ (١٧)
٨	الهداية والضلال	قال تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾ (١٧)
٩	اليقظة والرقود	قال تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (١٨)

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
١٠	اليمين والشمال (تكرار)	قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ (١٨)
١١	الرقود، البعث (تكرار)	قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ (١٨)
١٢	الذكر، النسيان	قال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي ﴾ (٢٤)
١٣	السنين الشمسية والقمرية	قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ (٢٥)
١٤	الغداة والعشي	قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٢٨)
١٥	الغفلة والذكر	قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (٢٨)
١٦	الإيمان والكفر	قال تعالى: ﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٢٩)
١٧	الجنة والنار	قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
		تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٢٩-٣١)
١٨	بئس ونعم	قال تعالى : ﴿ الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ (٢٩) قال تعالى : ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ ﴾ (٣١)
١٩	السوء والحسن	قال تعالى : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٢٩) قال تعالى : ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٣١)
٢٠	أكثر، أقل	قال تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾(٣٤)، ﴿ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴾ (٣٩)
٢١	الإثمار والقحط	قال تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾ (٣٣)
٢٢	الكفر والإيمان (تكرار)	قال تعالى : ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾(٤٠-٤٢) قال تعالى : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ (٣٧-٣٨)
٢٣	فوران الماء، غور الماء	قال تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً ﴾ (٣٣) قال تعالى : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴾ (٤١)

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
٢٤	الصغيرة والكبيرة	قال تعالى : ﴿ ويَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنا مَال هَذَا الْكِتَاب لا يُغَادر صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا ﴾ (٤٩)
٢٥	الطاعة والعصيان	قال تعالى : ﴿ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ كَانَ من الْجنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ ربِّه ﴾ (٥٠)
٢٦	آدم وإبليس	قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ ﴾ (٥٠)
٢٧	السموات والأرض	قال تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ ﴾ (٥١)
٢٨	أولياء، وأعداء	قال تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَه وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء من دُوني وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ (٥٠)
٢٩	البشارة والنذارة	قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذرِين ﴾ (٥٦)
٣٠	الحق، الباطل	قال تعالى : ﴿ ويُجَادلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا به الْحَقَّ ﴾ (٥٦)
٣١	التذكير، الإعراض	قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن ذُكِّرَ بِآيَات رَبِّه فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ (٥٧)
٣٢	والنسيان هداية، غواية	قال تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَدا ﴾ (٥٧)
٣٣	الرحمة، العذاب	قال تعالى : ﴿ وربُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَة لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ (٥٨)
٣٤	النسيان والتذكر	قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴾ (٦٣)

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
٣٥	(تكرار) الاتباع، عدم الصبر على الاتباع	قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾ (٦٦-٦٧)
٣٦	طلب الطعام، رفض	قال تعالى : ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾ (٧٧)
٣٧	الإكرام انقضاض البناء، وإقامته	قال تعالى : ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ** ﴾ (٧٧)
٣٨	الالتقاء، الافتراق	قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** ﴾ (٦٦)، قال تعالى : ﴿ **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (٧٨)
٣٩	الإيمان، الكفر	قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾ (٨٠)
٤٠	(تكرار) طغيان، وزكاه ورحمة	قال تعالى : ﴿ **فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً** ﴾ (٨٠-٨١)
٤١	مغرب الشمس، مطلع الشمس	قال تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ** ﴾(٨٦) قال تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ** ﴾ (٩٠)
٤٢	العقوبة والجائزة	قال تعالى : ﴿ **إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً** ﴾ (٨٦) قال تعالى : ﴿ **قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً** ﴾ (٨٧)

مسلسل	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الكهف
		قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴾ (٨٨)
٤٣	جهنم، جنات الفردوس	قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ (١٠٢) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (١٠٧)
٤٤	النفاد، المداد	قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١٠٩)

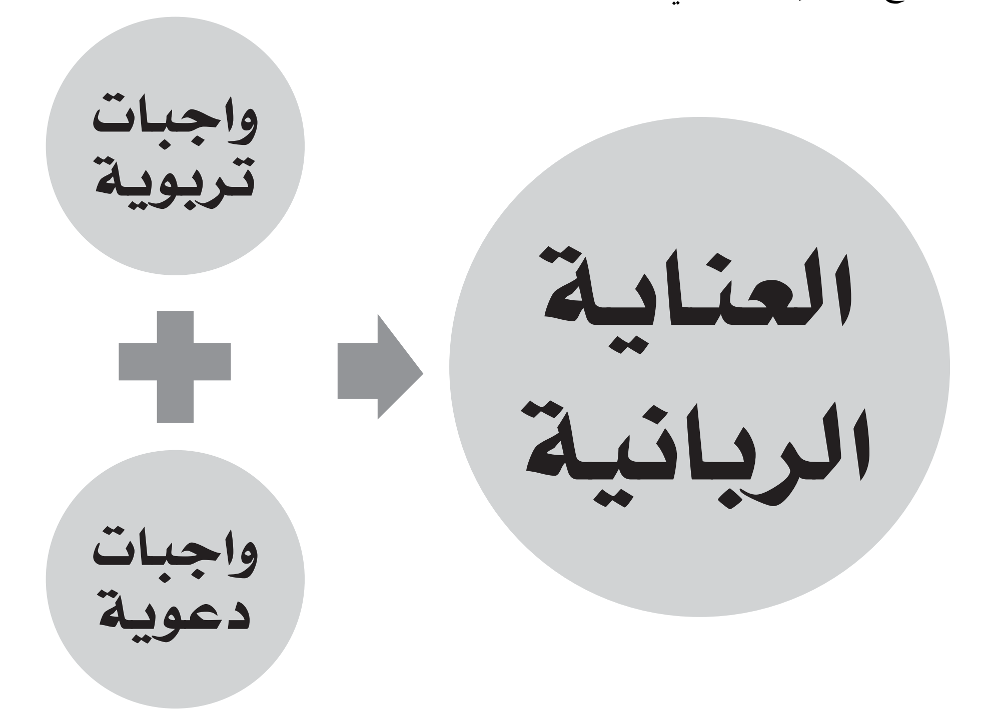
إن هذه المقابلات والأضداد ليست فقط للتحسين البلاغي، وإن كان ذلك رائعا في العرض، لكنه في الحقيقة مع الاستمتاع بالجمال اللغوي للانتفاع العملي في الاختيار بين المنهج القيم، والأهواء المعوجة، وبين الركون إلى الزينة التي قد تتحول، وتكون صعيدا زلقا أو جرزا إلى الباقيات الصالحات، وبين ضيق العيش وسعة الرحمة باللجوء إلى الله والاعتماد عليه، وبين نسيان ذكر الله وتذكره في اليوم والليلة، واختيار بين طريق الجنة أو طريق النار حين تقرع القلوب هذه المقارنة، بئس الشراب وساءت مرتفقا، ونعم الثواب وحسنت مرتفقا، وبين الشعور بالقلة والكثرة ليس وفقا لكثرة وقلة المال والولد بل لوفرة الإيمان أو قلته، وكثرة العمل الصالح وقلته، إنه الاختيار بين طريق الشيطان الذي عصى ربه في السجود لآدم، أو الرجوع إلى الله واتباع نهجه، إنه الجدال بالحق لدحض الباطل أو الجدال بالباطل لدحض الحق، إنه اتخاذ الشيطان وليا من دون الله أو جعل الله تعالى هو الولي والنصير والمعين، إنه الاختيار بين عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة، أو الجزاء الحسن في

الدنيا والآخرة، إنه الاختيار بين فناء العلم والمال والزينة، وبقاء كلمات الله تغمر العقول، وتنير القلوب، إنه الاختيار بين جهنم التي أعدت للكافرين نزلا، أو جنات الفردوس التي أعدت للمؤمنين نزلا.

هذه فلسفة المتقابلات وعرض الأضداد لإثارة العقل واتخاذ القرار وفقا للآية الواضحة: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالمينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾ (الكهف: ٢٩-٣٠).

المنهجية الرابعة عشر
منهجية العناية الربانية

كلما قرأت القرآن عامة وسورة الكهف خاصة ينقدح في عقلي ووجداني أن هناك منهجية يمكنني أن أسميها (منهجية العناية الربانية)، وقبل أن أدخل في الموضوع يمكن إيضاحها في الرسمة التالية:



الشكل (١٣)

أما التفصيل فإن بيانه كالتالي:

١ . هناك عناية ربانية بالخلق عامة، صالحهم وطالحهم، مؤمنهم وكافرهم، إنسهم وجنهم، ودوابهم وجمادهم يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ**

حليمًا غفُوراً ﴾ (فاطر:٤١)، وقال تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾(الأنعام: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿ **اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾(ابراهيم: ٣٢-٣٤)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (البقرة : ١٦٤)، ولذا لما دعا سيدنا ابراهيم عليه السلام ربه: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ** ﴾ (البقرة: ١٢٦)، أجابه ربه أن الرزق والثمرات والمال والولد والصحة والملك والسلطان ليس وقفا على أهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿ **قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ (البقرة:١٢٦).

فهذه العناية العامة أحد الأدلة الكبرى التي بسطها الله للخلق جميعا كي يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ويشكروه ولا يكفروه.

ولذا نجد مرارة الواقع بعد عرض النعم لكل العباد يأتي التعبير بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ (إبراهيم : ٣٤)، وقال تعالى: ﴿ **قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾ (عبس: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود** ﴾ (العاديات: ٦).

هذا الجحود من الإنسان نجده ظاهراً في عتاب الله لنا في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ (الانفطار: ٦-٨)، هذه النصوص تستنهض في كل إنسان عنده أدنى درجة من الوفاء للعطاء الرباني والادراك للفضل الإلهي أن يخجل من الخير

النازل في كل لحظة والشر الصاعد في كل يوم.

ولعل في الحديث القدسي ما يعبر عن هذه العناية الفائقة من الله لعباده وهذه المعاصي الزائدة من العباد لربهم، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «إِنِّي وَالْجِنَّ وَالإِنْسَ فِي نَبَإٍ عَظِيمٍ أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي» (الفتح الكبير لجلال السيوطي: ٢/ ٢٨٦).

٢ . لكني أقصد هنا العناية الربانية الخاصة بأصحاب الإيمان والدعاة الربانيين، هذه العناية الخاصة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقيام المتوازي وليس المتوالي بالواجبات التربوية في إصلاح النفس والواجبات الدعوية في إصلاح المجتمع، آنئذ فقط تتنزل العناية الربانية بدون نسبة بين العطاء البشري والفضل الإلهي، إذ يعطي الكريم عطاء فياضا لا يرتبط في نسبته بعطاء غيره.

٣ . ولأهمية هذا الأمر في الجمع بين الواجبات التربوية للنفس والدعوية للمجتمع سأحتاج أن أقف طويلا مع هذين الواجبين لنستمطر السماء بهذه العناية الربانية.

أولا: الأدلة على ضرورة البدء بالواجبات التربوية:

في القرآن عامة وفي سورة الكهف خاصة تتضح أهمية الجوانب التربوية لإصلاح النفس والمجتمع والدولة والعالم. سوف أبدأ بعرض مجموعة من الأدلة من القرآن والسنة، وسأدع التطبيق على سورة الكهف خاصة، لما سأعرضه في نهاية هذا المبحث من تطبيق عملي على قصص هذه السورة.

أولاً: الأدلة النقلية على وجوب البدء بالواجبات التربوية:

١ . لم تأت أول آية في القرآن بقوله تعالى: ﴿**قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ (المدثر: ٢)، إنما سبقتها مرحلة إعداد تربوي ذاتي للنبي ﷺ حيث وصل بطول تدبره وعمق نظره وكثرة اعتكافه في غار حراء إلى توحيد الله عز وجل، فلم يتبع عادات قومه في السجود للأصنام حيث كان – بعناية الله – يرفض أن يسجد لصنم قبل نزول الوحي، حيث كان ﷺ يتخلق بالمكارم الأخلاقية، فيغيث اللهيف، ويعين

الضعيف، ويكرم الضيف، ويصل الأرحام، ويكفل الأيتام، حتى نسي الناس اسمه ونادوه بلقبه الصادق الأمين.

ثم جاءت آيات القرآن أول مانزلت تحثه على القراءة باسم الله في سبحات خلق الله في الإنسان وفي الكون، وتؤكد في قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ منْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (العلق: ١-٥). وتؤكد الآيات التالية في النزول على أهمية المكارم الأخلاقية، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم: ٤)، ثم جاءت السورة الثالثة تستنهض النبي ﷺ المزمل أن يكون عابدا قانتا في جوف الليل استعدادا لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة نظرا لعظمتها وثقلها، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً * نصْفَهُ أَوِ انقُصْ منْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْه وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾ (المزمل: ١-٥)، عندما علم الله أن النبي ﷺ قد تزود تربويا بشكل كاف من التفكر والقراءة في الكون المسطور وحمل المكارم الأخلاقية والنفس الزكية بالقيام والتضرع، جاءت الآيات تحمّله وجوبا تبليغ الرسالة، آنئذ انتقل من كونه نبيا إلى أن صار نبيا رسولا، بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذرْ** ﴾ (المدثر ١-٢)، لكن العجيب هنا أن الله تعالى رده في الآيات نفسها إلى هذه الواجبات التربوية في النفس، فليس الانطلاق الدعوي بشاغل أبدا عن التربية الإيمانية والأخلاقية: ﴿ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ﴾(المدثر: ٣-٦)، والتجرد ونسبة الفضل كله لله تعالى وليس للنفس عندما يستجيب الناس لدعوته: ﴿ **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ﴾ (المدثر:٧)، على من استجابوا لدعوتك التقاء، وانتقاء، وارتقاء، ومن لم يستجيبوا أمام فتنتي الإغواء والإيذاء. والملاحظ هنا أنه أمر دعوي واحد بين واجبات تربوية عديدة.

٢ . لقد استمر النبي ﷺ على هذه العناية بنفسه قياما بالليل، وصياما بالنهار، وذكرا، وتدبرا بالليل والنهار، فتفطرت قدماه، وانهمرت عيناه، وهام قلبه بحب الله، وجاء في الترغيب والترهيب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ

قَدَمَاهُ فَقِيل لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فقَالَ: «أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً» (الترغيب والترهيب، للمنذري: ١ / ٢٤١). فكانت هذه المحطات الإيمانية والعلمية والخلقية التي يتزود بها نبينا ﷺ وأصحابه استعدادا لكل حركة دعوية، تزويدا للوقود الكافي لكل رحلة أو حركة دعوية.

٣ . رصد القرآن الكريم هذا التجاوب الفعال والحرص المتميز من الصحابة على التأسي في حسن القيام بالواجبات التربوية، فقاموا خلف النبي ﷺ قياما طويلا حتى أشفق عليهم الرحمن الرحيم، العلام الخبير، فأنزل سبحانه: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾ (المزمل: ٢٠). وأنفقوا حتى كان النبي ﷺ يشفق عليهم من الفقر فيقول: «الثلث كبير» في الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث البنات، حديث رقم: ٦٣٥٢). وتسابقوا رغم المخمصة والعسرة في إنفاق أموالهم كلها وأنصافها وأرباعها، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبقى لأهله حب الله ورسوله، وهذا عثمان رضي الله عنه حظي بجائزة الرحمن «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ» (صحيح الترمذي، رقم ٣٧٠١)، وتجاوزا أداء الفرض إلى بذل الفضل في أموالهم وأنفسهم، فهذا عمرو ابن الجموح رضي الله عنه لم يفرض عليه القتال ولم يكفه أن أربعة من أولاده في مواقع النزال والقتال، لكنه ذهب يستجدي سيدنا محمدا ﷺ أن يشهد معه القتال .

هؤلاء هم الذين هدى الله بهم العباد وفتح بهم البلاد وساد بهم الإسلام في كل واد .

٤ . وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون خير عبرة في أهمية الجوانب التربوية لحمل الأمانة الدعوية ونيل العناية الربانية، ونجد مصداق ذلك في أول رد

جاء من سيدنا موسى لربه لما قال له: ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾ (طه: ٢٤)، قال: ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي *اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي *كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً *إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً** ﴾ (طه :٢٥-٣٥)، وهي طلبات كلها تؤكد أهمية هذه العدة الضرورية أن يشرح الله صدره للإيمان، قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ** ﴾ (الزمر: من الآية٢٢)، وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ (الشرح: ١)، وأن ييسر أمره وهي نتيجة لمقدمة ضرورية: ﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** ﴾ (الليل: ٥-٦)، فالعطاء مع التقوى والتصديق بالحسنى مقدمات ضرورية لنيل اليسر: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي** ﴾ (طه: ٢٧)، وهي تحتمل معنيين رئيسيين متكاملين أولهما العلم الوفير، وثانيهما جودة الأداء وحسن الإلقاء كما يقول الشاعر:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنما ∴ جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

ثم المساندة التربوية بأخيه ليست فقط دعوية إنما هي مساندة أيضا تربوية: ﴿ **اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي** ﴾(طه: ٣١)، في التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتجلد أمام الشدائد، ثم المشاركة في الرأي: ﴿ **وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ (طه: ٣٢)، كما قال تعالى: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، أو كما قال الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ∴ رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

ثم هذه الصحبة مع أخيه زاد تربوي في الذكر الكثير، والشكر الوفير، وهذه كلها من عدة الدعاة التربوية، وإلا صارت أفئدتهم هواء وصرختهم في هراء!

٥ . قبل أن يصير سيدنا إبراهيم عليه السلام إماما مر باختبارات تربوية فوفَّى وأتمَّ، حتى قال سبحانه: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة:١٢٤)، فالإمامة هنا علو عند الله في السماء، وعلو في الأرض عند الناس،

لاتكون لظالم مثل فرعون الذي علا في الأرض وليس في السماء! لأن هذا العلو في السماء ثم في الأرض لايكون إلا لذوي الإيمان والقنوت والشكر والذكر والصفاء والنقاء من شوائب الرياء، كما قال ربنا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (النحل، ١٢٠–١٢١). ومن هنا نرى سيدنا إبراهيم عليه السلام إذن استكمل عدته التربوية عندما ذهب إلى قومه لا يحمل كلمات على أطراف اللسان، وإنما يحمل رسالة لامست القلب والوجدان، ولم يعد يرى في الناس الذين يدعوهم إلا سلما إلى رضا الرحمن، حيث قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ** ﴾ (الصافات: ٨٣–٨٥). فالشكل الظاهري أنه جاء إلى قومه، والأصل الحقيقي أنه جاء إلى ربه من قوة التجرد والحب لله تعالى: ﴿ **بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ (الصافات: ٨٤)، تحمله سفينة قلبه إلى ربه تعالى.

أما إذا أردنا أن نخصص وضوح الجانب التربوي لدى أصحاب الحق في سورة الكهف فيمكن أن نضع أيدينا معا على هذه الملامح التربوية والخصائص الربانية فيما يلي:

(أ) أول ما وصل الفتية إلى الكهف بدأوا بالدعاء: ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ (الكهف: ١٠).

(ب) وصفهم الله تعالى أنهم: ﴿ **فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ** ﴾ (الكهف: ١٣).

(ج) عندما قاموا يتحركون بدعوتهم سرا لم ينشغلوا بحفظ أنفسهم أو دعوة غيرهم عن ربهم بل قاموا فقالوا: ﴿ **رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ (الكهف: ١٤).

(د) الثبات على الحق وعدم الذوبان في الباطل مهما كان طاغيا ومنتشرا، يبدو ذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ (الكهف: ١٤).

(هـ) العزلة مع العبادة، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ ﴾ (الكهف: ١٦).

(و) حسن الحوار فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴾ (الكهف: ١٩).

(ز) تفويض العلم إلى ربهم: ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ (الكهف: ١٩).

(ح) الانصراف عن الجدل إلى العمل: ﴿ ابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ ﴾ (الكهف: ١٩).

(ط) الثقة فيما بينهم وتفويض أحدهم تفويضا كاملا في أن يختار نوع الطعام: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً ﴾ (الكهف: ١٩).

(ي) وضوح أن الردة عن طريقهم، والنقوص عن منهجهم هو الخسران المبين: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ (الكهف: ٢٠).

وأما عن الجوانب التربوية لدى الصاحب المؤمن:

(أ) الإيجابية الراشدة حيث لم يعنفه أو يقتله في إيجابية فاسدة أو يعتزله في سلبية راكدة، حيث أجاب الحوار بالحوار والكلمة بالكلمة.

(ب) الاعتزاز بربه وبإيمانه في مواجهة اعتزاز صاحبه بماله وولده حيث قال سبحانه: ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ (الكهف: ٣٨). وتكرار كلمة ربي الثانية دون الإحالة إلى الضمير لبيان أنه انطلق من ممارسة ذكر ربه إلى تذوق حلاوة ذكر ربه. ولو كان ممارسا فقط لقال: (لكنا هو الله ربي ولا أشرك به أحدا)، لكن التكرار دل على الممارسة والتذوق لحلاوة ذكر الله عز وجل.

(ج) الأمل حيث واجه خيلاء صاحبه الغني بما حوله من مال وولد ليس بانكسارة

الفقير بل بعزة الغني بما في قلبه من صلة بالله وأملا فيه أن يرزقه خيرا منه، حيث قال سبحانه على لسانه: ﴿ **فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً** ﴾ (الكهف: ٤٠).

أهم الجوانب التربوية في قصة ذي القرنين:

(١) استخدام ذو القرنين نعم الله تعالى في تحقيق عملي لمنهج الله ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَباً** ﴾ في مقابل من يستخدمون النعم فيما يغضب الله.

(٢) أنه مبادر وإيجابي بكل المعاني، فتحرك نحو المغرب والمشرق، وبين السدين، ولم يكتف بإرسال ممثلين له.

(٣) شخصيته قوية في إرساء العدل مع الظالمين، والإحسان للصالحين، وأخذ قرار لوقف مظالم يأجوج ومأجوج ببناء السد: ﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً** ﴾ (الكهف: ٩٦).

(٤) وظّف طاقات القوم بأن يحضروا زبر الحديد، والقطر، وأن يشعلوا النار، وقام هو بما لا يستطيعون فقط.

(٥) عندما تحقق الهدف نسب الفضل إلى الله تعالى ولم ينسبه لنفسه كما قال تعالى: ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً** ﴾ (الكهف: ٩٨)، في لغة تدل على قمة التلذذ والتذوق لذكر ربه سبحانه وتعالى.

(٦) لم يفت ذو القرنين أن يذكر قومه بيوم القيامة كي يستعدوا له.

ثانيا: مدى وجوب الإصلاح في الشريعة الإسلامية:

قد يظن كثير من الناس أن إصلاح الأوضاع الفاسدة، أو تحسين الأوضاع القائمة من فضائل الأعمال، يفعله المسلم فيؤجر، ويتركه فلا يؤزر، لكن البحث الدقيق يؤكد أن الإصلاح أمر يدخل في إطار الفرائض الشرعية التي يجب على كل مسلم أو مسلمة القيام به، وذلك للأدلة التالية:

(١) أن الله تعالى اشترط في قبول التوبة أن يتحرك المسلم للإصلاح، ومن ذلك :

(أ) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٥٤) .

(ب) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٥٩–١٦٠) .

(ج) قوله تعالى : ﴿ وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (النساء: ١٦) .

(د) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء: ١٤٦،١٤٥) .

(هـ) قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٤–٥) .

من هذه الآيات نستدل على وجوب الإصلاح للمجتمع ولأي فساد يوجد فيه، ولا تقبل توبة من أتى سوءاً بجهالة، أو كتم علما نافعا أو ارتكب جريمة الزنا، أو قذف محصنة، أو نافق هؤلاء جميعا، لا تقبل توبتهم حتى يتحركوا حركة إيجابية نحو الإصلاح والتغيير، تتوافق مع الحركة الداخلية نحو الإيمان بالله تعالى رباً، وبالرسول محمد ﷺ نبياً ورسولا، وبالقرآن الكريم منهاجا ودستورا .

(٢) أن الله تعالى أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ والأمر في أصله للوجوب ـ فقال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤)، ولم يختلف أحدٌ من المفسرين في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو جوهر الإصلاح للفساد الموجود، ولكن الخلاف وقع في نقطة أخرى هي هل هو واجب في حق كل فرد من الأمة؟ أم هو واجب في حق فئة دون أخرى ؟ وبالأحرى هل هو فرض عين أم فرض كفاية ؟

ذكر القرطبي في تفسيره للآية أن كلمة ﴿ **مِّنكُمْ** ﴾ أي جماعة منكم؛ لأن من للتبعيض، ومعناه أن الآمرين بالمعروف يجب أن يكونوا علماء، وليس كل الناس علماء، وقيل: من لبيان الجنس، والمعنى لتكونوا جميعا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، وقد رجح القول الأول (الجامع لأحكام القران للقرطبي : ٤/١٦٥)، وإن كنت أرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين في حق كل مسلم لا يسقط عنه أي قدر منه، فإذا أرادت مجموعة أن تغير منكراً يرتكب أو معروفاً يترك فهناك من يتقدم لتغييره باليد، وآخر باللسان، ويبقى الجميع مشتركا في إنكاره بالقلب على الأقل .

وعلى كل فلعل الإمام القرطبي وغيره ممن رجحوا أنه فرض كفاية قد رجح هذا نتيجة شيوع ولاية الحسبة، وهي إحدى ولايات الدولة الإسلامية، حيث يعين في كل مكان من الدولة، بل كل عمل يكون فيه محتسب يتبع والي الحسبة، ووظيفته هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله [الأحكام السلطانية للماوردي (٢٤٠)، وراجع تفصيلا في «سلطة ولي الأمر» د.صلاح سلطان ص(٣٦١-٣٦٧)]، لأن الدولة الإسلامية ترى أن هذا جزء من رسالتها ومهامها لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ (الحج:٤١) .

لكن الواقع الآن أن كثيرا من دول العالم تقوم في كثير من الأحيان على إنكار المعروف، وإقرار المنكر والدعوة إليه، وتحارب من يقوم بذلك، فيصير آنئذ إنكار المنكر والأمر بالمعروف والحركة نحو الإصلاح والتغيير فرض عين على كل مسلم ومسلمة كل بقدر استطاعته . ويؤكد ذلك الأدلة التالية أيضا:

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبه : ٧١) .

هذه الآية فيها بالنسبة لقضيتنا دلالتان :

(أ) أن الألف واللام دخلت على لفظي ﴿ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾، وهي هنا تفيد الاستغراق، أي كل المؤمنين وكل المؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهو يفيد تعلق هذه الفريضة بكل أحد كفرض عين لا فرض كفاية .

(ب) أن جميع ما ورد في الآية من الفرائض، فالصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله فرائض، فكيف يستثنى الأمر بالمعروف ليحول إلى نافلة أو إلى فرض كفاية ؟!

(٤) ذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه المحلى (فيما لا يصح الإيمان إلا باعتقاده، في المسألة الثامنة والأربعين) : « أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد ـ على قدر طاقته ـ، باليد فمن لم يقدر فبلسانه، فمن لم يقدر فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »، وذكر حديث مسلم أيضا بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب . يأخذون بسنته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف . يقولون ما لا يفعلون . ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .
(المسند الصحيح للإمام مسلم : ص ٥٠)

وذكر أنه لا خلاف بين أحد من المسلمين على أن هذه الأدلة محكمة غير منسوخة فوجب المصير إليها واعتقاد ما ورد بها (المحلى لابن حزم [١ / ٢٧، ٢٦])، وعليه فمن ترك الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلية فإنه قد فارق الإيمان لأنه لم يعد عنده حبة خردل منه .

(٥) يقول الله تعالى : ﴿**فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾ (هود:١١٦–١١٧)، من هذه الآية نستنبط الدلالات التالية :

(أ) أن الله تعالى ينعى على الأمم الغابرة أنه لم يوجد في بعضها من ينهى عن الفساد في الأرض، وسمى القائمين بالإصلاح ﴿**أولوا بقية**﴾ أي أصحاب طاعة وعقل ودين وبصر، كما ورد في تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن [٩ / ١١٣])، ومفهوم المخالفة أن من ترك الإصلاح والتغيير ليس من أولي البقية من عقل أو دين أو طاعة أو بصر .

(ب) أن الآية وصفت من فعل المنكر ومن سكت عليه بأنهم ﴿**الذين ظلموا**﴾ وأنهم مجرمون، وهو وصف حقيقي لكل من قدر على إنكار منكر فلم يفعل لأن هذا هو السياج الذي يحفظ للحق قوته .

(ج) أن الآية بعدها تبين أن الله تعالى لا يهلك قرية أو أمة أبدا مع كون أهلها مصلحين، ولم يقل صالحين، فلو كانوا صالحين في أنفسهم، تاركين إصلاح مجتمعهم فهم مجرمون مع من يفسد في الأرض، ويكون سببا في الهلاك، فالعاصم من القواصم، والحصن من الهلاك أن يكون القوم مصلحين وليسوا صالحين فقط .

(د) يؤكد هذا النظر ما ورد في تفسير ابن كثير حيث قال في تفسيره للآية : « هلاً وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله ﴿**إلا قليلا**﴾ أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا وهم الذين أنجاهم الله تعالى عند غضبه وفجأة نقمته، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأورد الحديث : « أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب » (مختصر تفسير ابن كثير [٢ / ٢٣٦]) . هذه الأدلة في مجموعها تؤدي بنا إلى وجوب التحرك للإصلاح والدعوة إلى الله عز وجل كل على قدر طاقته .

إذا كانت العرب تقول: «إن الشجاع من انتصف من نفسه» فلو حاولنا مرة واحدة أن نكون شجعاناً بشكل كاف، فإننا يجب ألا نلقي بأسباب أزماتنا على الغير شرقاً وغرباً وإنما نلقي اللائمة على أنفسنا ونتحرك لإصلاح مجتمعنا لننال الغنى والعزة والتمكين من ربنا سبحانه وتعالى، أما أن يبقى كل ولد يلوم أبويه على تقصيرهما، وينسب فشله الدراسي إلى أساتذته، وينسب الزوج شقاءه إلى زوجته، وتحمل الزوجة تعاستها على زوجها، ويشكو الأبوان من شرود الأبناء وتمردهم، ويشكو الفقير من بخل الغني، والغني من حقد الفقير، ويرى المجرم أنه ضحية أسرته ومجتمعه، ويرى المجتمع والدولة أنهم ضحية الغزو الخارجي والمؤامرات الداخلية، ولايرى القوي إلا تمرد الضعيف، ولا يرى الضعيف إلا ظلم القوي، فإن هذا كله يدل على الجبن في مواجهة النفس وتحميلها المسؤولية قبل الآخرين، ومن الضعف أمام هوى النفس في إلزامها منهج الله في جانبيه إصلاح النفس والمجتمع، لكي ننال ما وعد الله به قطعاً وأكدّه عبر آيات القرآن وقصصه في سورة تجعل الإنسان منيباً يرجع الى نفسه دائما لائما ومعاتبا ومحاسبا ومجاهدا ومصلحا ومغيرا، ويتأكد أن الشمعة في الظلام مهما كان ضعفها ستبدد جزءا من هذا الظلام، والمثل يقول: «لا تلعن الظلام، أضئ شمعة»، ومثل آخر يقول: «إن ظلام الدنيا لا يستطيع أن يحبس ضوء شمعة واحدة إذا أنيرت في هذا الظلام». ومن ثم فإذا رزق الإنسان الشجاعة الكافية فلا بد أن يسأل نفسه وسط غياهب الظلمات وانتشار الفساد: «كم شمعة اجتهدت في إشعالها لتنير لي ولغيري الطريق إلى الإصلاح والتغيير؟».

وفيما يلي أقدم تطبيقاً عملياً على كل آية من سورة الكهف مجتهداً في استنباط الدروس والواجبات التربوية للنفس، والدعوية للمجتمع التي يرجى بإذن الله أن تجلب العناية الربانية .

الدروس التربوية والدعوية والعناية الربانية

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾	التدريب على الحمد في السراء والضراء مع الفرحة أو الصدمة الأولى لنصل إلى صفة «الحامدون»	تذكير من حولنا بدوام الحمد لله في كل الأحوال، فعند سماع خبر جيد نسجد جميعا سجدة شكر	الحمد والشكر يجلبان الرضا من الله والزيادة في الرزق والأجر والخلف في المصيبة
٢	﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾	اتخاذ القرآن معيارا لكل شيء والجمع بين جناحي الخوف والرجاء من الله تعالى	الحرص على التوازن في الدعوة بين التبشير والإنذار	الإيمان وعمل الصالحات يجلبان الأجر الوفير
٣	﴿ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾	اليقين بالخلود في الجنان والخوف من المكث في النيران	التذكير بقصر الدنيا وطول المكث في الآخرة	من رحمته بالمؤمنين الخلود في الجنة
٤	﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾	الخوف من الشرك الخفي والجلي	القيام بواجب إنذار العباد من خطر الشرك وخاصة النصارى الزاعمين أن عيسى ابن الله	الإنذار من الله بالرسل والكتب، إنقاذ للإنسان من نفسه

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٥	﴿ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا ﴾	عدم اعتقاد شيء بلا دليل والحذر من كلمة تشير إلى الشرك	الداعية يحرص على الإقناع بالأدلة، وليس بالإثارة	يصنع الله بالقرآن عقلا راشدا سديدا
٦	﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	التوازن في الخوف على الشاردين بحيث لا يهلك الداعية نفسه	استصحاب عاطفة شديدة نحو المدعوين دون مبالغة	الله أشد إشفاقا على الداعية من إشفاقه على المدعوين
٧	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾	الانتباه إلى أن الدنيا زينة فانية لنحسن العمل ليكون ما فيها قيمة باقية، من تسخيرها في فعل الخير	دوام التذكير بفناء الدنيا والوصول للأحسن وليس الحسن فقط تسخير الله الدنيا لنا لنحسن عبادته	تسخير الله الدنيا لنا لنحسن عبادته
٨	﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾	اليقين بقدرة الله أن يحول كل ما على الأرض حطاما وترابا من مبان ومزارع ومصانع و...	الدعوة إلي عدم الإخلاد إلي الأرض فكل ما عليها فانِ	القدرة الربانية المطلقة رصيد للمؤمنين نقمة على الظالمين

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٩	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	دراسة القصص القرآني بدقة	استخدام التشويق في الدعوة	من رحمة الله أن ثبت هؤلاء الفتية ليكونوا قدوة لكل الشباب الثابت على عقيدته
١٠	﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾	الاعتزال والاستتار وسيلة مشروعة لكل مسلم عند التهديد مع الدعاء والقنوت لله والتفويض	الداعية يعمل على مكانته دون تهور وليس في الاستتار جبنا مع طغيان الباطل وقلة أتباع الحق	من عناية الله بهم أن ألهمهم الإيواء للكهف والدعاء
١١	﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾	شكر الله على نعمة الأذن فهي سبيل سماع الخير والاستيقاظ من النوم	التذكير بالإعجاز القرآني أن الله جعل للأذن خاصية تساعد على اليقظة ليست لحاسة البصر أو الشم أو...	الضرب على الأذن لتكتمل المعجزة الربانية وتصل دعوتهم لأجيال قادمة
١٢	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾	– اليقين بأن الموت والبعث بيد الملك سبحانه – الاهتمام بعلم الإحصاء	التذكير بأهمية اليقين بالبعث والنشور والتعمق في علم الإحصاء	اختار الله زمانا مناسبا لبعث أصحاب الكهف ليؤمنوا

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١٣	**﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾**	اتخاذ هؤلاء الفتية قدوة في الثبات على الإيمان	الاهتمام بالشباب فهم أعمدة الدعوة الإيمان يستجلب	الهدى من الله
١٤	**﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾**	– العزم على الثبات على الحق وكراهية الشطط والباطل. – التلذذ من ذكر الله ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	الدعوة تحتاج إلى قيام وحركة ونشاط وتحد للباطل	الربط على القلب فلا يتسرب الإيمان ولايلين هو منحة من الله وحده
١٥	**﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**	– الحزم في عدم اتباع العرف الفاسد بين قومنا مهما انتشر. – عدم اعتقاد شيء بلا دليل واضح. – عدم الافتراء والكذب .	دعوة الغير أن يعرض أدلته وحسن تفنيدها .	رزق من الله أن يكون الإنسان مؤمنا ويدرك ضلال المشركين

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١٦	﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾	العزلة مشروعة عند وضوح التهديد للدين والنفس والنسل والعرض مع ضرورة الحفظ على ثوابت الدين	التذكير بأن العبد مع الثبات ينال كامل الرحمة والرفق من الله	السعة لكل ضيق والرحمة في أشد الأوقات صعوبة، والتهيئة الكاملة من الله لعباده الثابتين على الحق
١٧	﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾	– التفكر في الكون وخاصة في الشمس مشرقا ومغربا – حسن التوكل علي الله – الكافرون لا مولى ولا هادي لهم	لفت أنظار الناس إلي الكون المنظور والمصير إلى اليقين بقدرته سبحانه على كل شيء	الله كفيل بتحريك الكون كله، أرضه وسماؤه وشمسه وقمره لخدمة أوليائه
١٨	﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾	– لا يقطع الإنسان بالنظرة السطحية – لما صحب الكلب أهل الكهف خلد ذكره في العالمين؛ فنصاحب الصلحين لنرقى بهم – لكل مسلم دور في خدمة دينه	تأكيد تسخير الله الكون لعباده المرابطين، وأهمية الصحبة في الله	العناية كاملة شكلا ومضمونا، جمادا وحيوانا، حسا وإحساسا

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١٩	﴿وكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾	- السؤال نصف العلم، بلا جدل فيما ليس تحته عمل، ونسبة العلم إلى الله فيما غفل عنه الإنسان - لا حرج على الداعية أن يرتب أزكى الطعام، مع الشدة والعسرة	﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ هي منهجية كل الدعاة عند تعرضهم للتهديد	البعث بيده في أنسب الأوقات، إلهام الشباب أن يتلطفوا ولا يصادموا
٢٠	﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾	- ربط الأحكام بأسبابها، وضرورة أن يكون حفظ الدين والنفس مع الدعوة إلى الله - معيار الفلاح ليس اتباع القوم المفسدين بل في الحفاظ على الدين	يتوقع الداعية أن يتعرض للرجم فما دونه من حبس وضرب أو نفي وطرد، فليعد للأمر عدته دون كلل.	﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٢١	﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾	- اليقين بوعد الله في قيام الساعة - الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية	التأكيد على البعث والنشور - اختلاف العقول ثراء، واختلاف القلوب وباء	يجري الله أحداثا ليصل بعباده إلى اليقين بالبعث فيصلحون دنياهم وآخرتهم
٢٢	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾	ترك الجدل فيما ليس تحته عمل وليست فيه حجة ظاهرة، ونسبة العلم إلى الله تعالى	ينتبه الداعية ألا يجر إلى حوار لافائدة من ورائه توجد قلة من الناس يخصهم الله ببعض العلم	توجد قلة من الناس يخصهم الله ببعض العلم

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٢٣	﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾	نفي الحول والطول عن العبد ونسبته إلى الرب سبحانه وتعالى	تعويد من حولنا وتذكيرهم بذكر المشيئة الإلهية في كل عمل مستقبلي	في التوكل عليه سبحانه كل أبواب التوفيق
٢٤	﴿إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾	– التدريب على ترك الغفلة واستحضار القلب لدوام ذكر الله ومنه إلى حضور القلب – الأمل في الله أن يهدينا إلى الأحسن والأرشد	مساعدة الغافلين على التزام الأذكار شيئا فشيئا ثم تذوق الأذكار حتى تصير جزءا من أنفاسنا	ذكر الله لنا في الملأ الأعلى وهدايته لنا إلى الأرقى
٢٥	﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾	اليقين بكمال القدرة الإلهية وتمام التقدير وانسجام حركة الكواكب حيث تزيد السنة الشمسية عن القمرية ٣ سنوات كل مائة سنة	استصحاب الإعجاز العلمي عن حركة الأرض حول الشمس، والقمر حول الأرض وفق ميزان رباني دقيق	– باشرت العناية الربانية رعايتهم الكاملة وهم رقود – كمال الحول الرباني وانعدام الحول البشري

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٢٦	**﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾**	تفويض كمال العلم والبصر والسمع والولاية لله وحده	ربط العباد برب الأرباب السميع البصير، الولي الرشيد، القوي الحميد	الله مع المؤمنين يسمع ويرى، ويرعى شؤونهم
٢٧	**﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾**	– دوام التلاوة اليومية لكتاب ربنا فهو الملاذ في كل أمر دق أو جل – الفرار إلى الله وحده فلا ملجأ ولامنجى منه إلا إليه	فتح حلقات التلاوة وتجويد القرآن وتفسيره والتواصي بالعمل به، في البيت والمسجد والمؤسسة، فخيركم من تعلّم القرآن وعلّمه	في العودة إلى القرآن والفرار إلى الرحمن كمال الهداية والرشد للإنسان
٢٨	**﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾**	التزام الصبر مع الصالحين المخلصين الذاكرين، وألا نشغل بالعمل والتجارة عنهم، والبعد عن الصداقة الحميمة مع الغافلين فهذا يفتح باب الهوى وانفراط عقد الحياة	الدعوة إلى العمل الجماعي وانتقاء الأصحاب وفقا للمعيار الرباني **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** فالجماعة عصمة والفرقة عذاب	– إذا أطاع الإنسان الصديق الغافل الخارجي والهوى الجامح الداخلي انفرط عقد حياته لأنه افتقد الفيض الرباني – يد الله مع الجماعة

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٢٩	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾	قول الحق ولو كان مرا، والخوف من عذاب الله سرا وجهرا، واستحضار صورة أسوار جهنم بداخلها عباد يستغيثون فيصب من فوق رؤوسهم الحميم فيصهر به ما في بطونهم والجلود	– التزام الحق كما أنزله الله تعالى وليس كما يهوى بعض عباد الله – اعتقاد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنذار الناس من فيح ولهيب وعذاب جهنم – تبليغ الحق كما أنزله الله دون تبديل ولاتغيير	– لايعرف الحق إلا من الله سبحانه – الوعيد بالنار إنقاذ لذوي القلوب منها وعدل في الانتقام ممن أعرض عن الحق
٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾	– لايضيع إيمان وعمل صالح عند رب الأرباب – يجب أن نصل إلى الأحسن والأرقى والأفضل في كل شيء	التأكيد دائما على اقتران الإيمان بالعمل ودعوة الأمة إلى أن تكون في القمة	عند الله لايضيع خير أبدا بل يتضاعف مددا ويزداد عددا

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٣١	﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾	– الشوق إلى جنان الله ونعيم الله وثواب الله والنظر إلى وجه الله – لاراحة إلا في الجنة	تشويق عباد الله إلى التسابق نحو رضا الله والجنة وذكر تفاصيل وجوه التنعم في جنان الله تعالى	يعطي الشكور الودود على قليل من العمل كثيرا من الأجر والنعم، ويفتح لنا أبواب الجنان برحمته وحبه لعباده المؤمنين
٣٢	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾	– ضرب المثال يزيل الإشكال ويقرب الأفهام إلى حقائق الإيمان – يجب أن نفقه غاية القرآن من ضرب الأمثال واستحضار المقارنة بين تصرفات وعاقبة صاحب الإيمان وصاحب الجحود والكفران	الداعية منفتح في العلاقة مع غير المؤمنين ليأخذ بيدهم إلى طريق الرحمن	الله وحده يمنح للأرض الجمال في الحدائق بما فيها من أعناب ونخيل وزرع

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٣٣	﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾	إنبات الأشجار، الإثمار، الإزهار، وتفجير الأنهار ليس إلا بيد الواحد القهار	التذكير الدائم بقدرة الله التي لاحدود لها	الكمال والجمال من الله ذي الجلال والإكرام
٣٤	﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾	الانتباه إلى عدم الاغترار بكثرة الحدائق والأشجار وكثرة الأولاد والأنفار والغفلة عن الله الواحد الجبار	التذكير بعدم الغلو والاستكبار بتقدير ضعف العبد بين يدي ربه وعطائه المدرار	العطاء الدنيوي محض فضل من الله لكل محسن أو ظلوم كفار
٣٥	﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾	الحذر من تمادي الغرور وزيادة الشرور	يلاحظ الداعية أن الشر يغري بالشر ويضاعف الفسوق، فلنجتهد في العلاج من البدايات قبل أن تتمادى النهايات	ما أوسع حلم الله على عباده، يفيض بالنعم ويقابلها العبد بالنقم
٣٦	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾	الحذر من الغرور والاستغناء الذي قد يؤدي إلى استنكار البعث واعتقاد أنه يستحق الفضل في الدنيا والآخرة	– التحذير من الجحود والنكران لنعم الله هذه مقدمات المحق في الدنيا والعذاب في الآخرة	لايزال حلم الله واسعا

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
			- التذكير باليوم الآخر وأنه لاينال شيئا إلا برحمته، لا بعمله ولا بوجاهته	
٣٧	﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾	- لامانع من مصاحبة غير المؤمن، ليس صديقا حميما، بقصد النصح والإرشاد - الإيجابية بالنصيحة والحوار وعدم السلبية بالصمت والفرار	الحوار واجب مع كل صديق مؤمن وكافر، وبيان الكفر من الإيمان - لا يجوز إلا الحوار مع الأصدقاء ومن لاسلطة عليه أما الاعتزال والاعتداء فغير جائزين - التذكير بأصل الإنسان أنه من تراب	من نعم الله على العبد أن يلهمه حسن النصيحة فيرفعه لأعلى الدرجات في الدنيا والآخرة ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (فصلت : ٣٣)
٣٨	﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾	الاعتزاز بقوة الانتساب إلى الله الواحد الأحد وتذوق حلاوة ذكر الله (ذكر ربي مرتين)	الداعية الحق يعبر عن ربه تعبير صب محب لربه	من آمن بالله يعطيه العزة والقوة والغنى أمام الناس جميعاً

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٣٩	﴿ ولَولا إذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إلا باللَّه إن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ منكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴾	عدم الشعور بالنقص مع أي صاحب مال أو نفوذ، والمبادرة للحوار الهادئ	إيجاد البدائل للمدعوين ضروري وربطهم بالمشيئة الإلهية	من رحمته أن جعل المشيئة والحول والقوة بيده سبحانه .
٤٠	﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾	اليقين بأن الله بيده أن يرزقنا خيرا مما بيد الخلق جميعا، وأن يبيد ما في أيديهم ببغيهم وظلمهم فيحول الحدائق الغناء إلى صحراء جرداء	– الجمع بين الترغيب والترهيب، والإنذار بقوة الله على إهلاك كل شيء – الداعية يظهر اعتزازه بالله وحده	رزق الله لعباده المؤمنين يتنوع ويتعدد، وأوله الهداية والسعادة وهي أبعد ماتكون عن الظالمين
٤١	﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾	– الماء هو سر الحياة ويجب القراءة والبحث في الإعجاز الرباني في خلق وجريان الماء في الأنهار والآبار عذبا فراتا لري الإنسان والنبات والحيوانات والطيور، أو في المحيطات لنقاء	التذكير بالإعجاز الرباني للماء العذب الفرات والملح الأجاج، فما من أحد يستغني عن الماء، ولايطلب إلا منه سبحانه بالاستسقاء	من رحمة الله أن أجرى الماء وجعله مشاعا ولو ملك الماء أحد لأنهى حياة الناس جميعا

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
		الجـو، ولخـدمـة الإنسان أوجد فيه لحما طريا وسفنا تجري ومعادن و... ولو شاء الله في لحظة لجـفف كل شيء، وانتهت الحياة - دراسة فقه صلاة الاستسقاء		
٤٢	﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	- الندم المبكر قبل نفاذ القدر وذهاب الأجر - الثقة في قدرة الله على محق العروش الظالمة	- الاستفاضة في ذكر قوة الملك سبحانه، وأنه من وراء الظالمين محيط - بيان أن عاقبة الجحود الخراب	قد يبتلى الله عبده ليرده إليه فيكون البلاء رحمة (إذا رزق العبد الفهم في المنع، عاد المنع عين العطاء)
٤٣	﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾	الافتقار إلى نصر الله وقطع الأمل في نصرة غيره	تقوية اليقين لدى الناس أنه لا ناصر سوى الرحمن	النصر دائما وعد الله للرسل والمؤمنين، والخذلان للظالمين
٤٤	﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾	الاعتقاد الجازم أن لله وحده كامل الولاية وتمام الحق	لايمل داعية محب لله من الحديث عن ربه الحق الولي الحميد، ذي الطول لكل شيء	الله وحده يعطي الثواب بلا حساب ويعقب الشاكرين بكل خير

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٤٥	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾	اعتقاد أن الدنيا لاتساوي عند الله شيئا، ومضة وتزول، وكل متاعها إلى انتهاء، ولذاتها إلى فناء	ضرب الأمثال للمدعوين يقرب الصورة الصحيحة لأذهان المدعوين، وبيان هوان الدنيا أمام قدرة الله تعالى	الماء والأرض والإنبات والإثمار والإهلاك بيده سبحانه وحده
٤٦	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾	كيف ننجح في تحويل الزينة الفانية إلى القيمة الباقية باستخدام زينتها في فعل الخير ونفع الغير.	المقارنة بين الزينة الفانية والباقيات الصالحات ليكون ثواب الله خير أمل للإنسان	نستعمل خيرات الله ويكرمنا بالثواب الجزيل
٤٧	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾	الاستعداد بالصالحات للدار الآخرة، والتفكر في تسيير الجبال وإبراز الأرض، تحدث بكل ماجرى عليها وحشر الخلق جميعا	التذكير بأهوال يوم القيامة، والوسائل العملية للاستعداد له	يوم القيامة مستراح لكل مؤمن، ومنتقم من كل ظالم

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٤٨	﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾	استحضار العرض على الله والفزع من سؤاله	بيان اليوم الموعود والعرض على رب الوجود	المؤمنون يعرضون عرضا سريعا ويذهبون إلي الجنة، والكافرون يناقشون الحساب ويعذبون
٤٩	﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	الإشفاق على النفس مما في الكتاب من رصد الأقوال والأفعال، ما دق وما جل، والتعجيل بالتوبة لتبديل السيئات إلي حسنات	دعوة الناس إلي تبييض صحائفهم بالحسنات، وعدم تسويدها بالسيئات	لا يضيع خير ولا يذهب شر إلا بالتوبة، وذاك قمة العدل
٥٠	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا ﴾	الامتثال الكامل لأوامر الله تعالى عز وجل، واليقظة للشيطان العدو اللدود الدائم حتى الوفاة	بيان تكريم الله للإنسان، وعداوة الشيطان للإنسان	الله ولي المؤمنين يرعاهم برحمته

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٥١	﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾	– اعتقاد أن الله لا يتخذ المضلين ولا الصالحين عضدا فهو المستغني بقوته عن غيره – تخصيص أوقات للتفكر في النفس وفي الكون	دعوة إلى التفكر والتدبر، واللجوء إلى الله الغني بحوله وطوله عن خلقه	الله الذي « أحسن كل شيء خلقه » فجاء كل خلقه على أفضل صورة من الكمال والجمال.
٥٢	﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾	التعلق بالله وحده هو النجاة، وإلا فإن كل الشركاء يحجزون عن شركائهم	التكرار لتذكير عباد الله بيوم يفر كل شيء من الإنسان إلا عمل صالح يرضي الرحمن	الله هو الملاذ الذي لايبقى غيره في الدنيا والآخرة
٥٣	﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾	الخوف الشديد من عذاب الله ولاصارف عنه إلا رحمة الله	الإلحاح على الناس بإنذارهم بعذاب الله	رحمة الله هي المصرف الوحيد للعباد
٥٤	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾	– الاعتقاد أن القرآن فيه حل مباشر أو غير مباشر لكل هموم الإنسان في الحياة – نحتاج مع القرآن إلى الإيمان والعمل لا الخلاف والجدل	إقناع الناس أن يلتمسوا الحل في كل شيء من القرآن، وأن يستسلموا لحكم الله دون جدال	في القرآن شفاء لكل داء، وعلاج لكل بلاء، وسعة من كل ضيق، ورحمة من كل عذاب

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٥٥	﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا ﴾	– الاستسلام لأمر الله قبل أن يأتي العذاب فجأة – الاستغفار عاصم من القواصم	دعوة الناس إلى التزام الهدى ومراجعة النفس ليأمنوا من غضبة الله وانتقامه المفاجئ	الإيمان والاستغفار حماية من انتقام الله تعالى
٥٦	﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً ﴾	– تقوية جناحي الخوف والرجاء وترك الجدال بالباطل ومساندة الحق بالعمل لا الجدل – الجدية في العمل بآيات القرآن والخوف من الرحمن	التوازن في الرسالة الدعوية بين التبشير والإنذار، والجدال بالحق لدحض الباطل	الرسل والآيات مبشرات بالخير لينتبه الإنسان قبل فوات الأوان
٥٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾	الحذر من الإعراض بعد التذكير وكثرة الندم على الذنوب حتى لايختم على القلوب فلا يؤثر فيها شيء من هدي الله عز وجل	الدعوة إلى التوبة وعدم نسيان الذنوب والتحذير من قسوة القلوب والختم عليها	الاستجابة لآيات الله تمنع الران والختم على القلب

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٥٨	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾	– الاعتقاد بسعة رحمة الله، رغم ذنوبنا يحلم علينا! – اللجوء إلى الله لا إلى غيره	لا نضيق سعة رحمة الله على عباده بل نوسع لهم في المغفرة والرحمة وجذبهم إلى التوبة واللجوء إليه سبحانه لتوقي عذابه	رحمة الله تسع العصاة إذا عادوا إلى الله
٥٩	﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾	تجنب الظلم للنفس أو الغير لأنه أقرب طريق إلى الهلاك والضياع	التحذير من الظلم وآثاره في خراب الدنيا وعذاب الآخرة	في إهلاك الظالمين شفاء لصدور المؤمنين
٦٠	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾	– الإرادة القوية التي لا تعرف التراجع – الأدب الشديد مع من يساعدوننا خاصة الخدم	انتقاء ذوي الإرادة الفتية وجذبهم إلى الإسلام	من عزم على شيء خالصا لله سبقه توفيق الله
٦١	﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾	حسن الإدارة في اتخاذ الخطوات العملية المناسبة والتعامل برفق مع حالات النسيان	الدعوة إلى إلحاق الإرادة الفتية بالإدارة السوية	النسيان قد يكون رحمة من الله للإنسان

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٦٢	**﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾**	- أخذ العدة في السفر والحضر لاينافي التوكل بل هو جزء منه - لاحرج شرعا من التأوه والفضفضة للآخرين عن التعب والنصب الذي يلقاه الإنسان - لايشغلنا الطعام عن الحركة لله عز وجل.	دعوة المسلمين إلى ضرورة الأخذ بالأسباب وترك النتائج على رب الأرباب	شعور الإنسان بالجوع والتعب رحمة من الله ليبادر إلى الطعام والراحة
٦٣	**﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾**	- النسيان لايمنع الإنسان من الإقدام واتخاذ السبيل نحو الأهداف - اليقظة لوساوس الشيطان التي قد تنسي الإنسان بعض احتياجاته لمعاشه أو معاده	- الحوار بالحسنى مع الأصحاب خاصة في السفر	ذكر الرحمن يطرد الشيطان

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٦٤	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	الإصرار على مواصلة الطريق نحو الهدف	الدعوة إلى عدم التوقف عن الوصول لأهدافنا	...
٦٥	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾	– الوصول للأهداف لا يأتي إلا بعد عناء – الخُلُق قبل العلم (الرحمة قدمت على العلم)	– تعليم الناس أن علوم الدين تطلب ممن عبَّدوا أنفسهم لله وحده وفيهم خلق الرحمة – تعليم الناس الثناء على الله (الرحمة قبل العلم).	العبودية الحقة تجلب الرحمة والعلم اللدني
٦٦	﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	شدة مراعاة الأدب مع أساتذتنا وشيوخنا	مهما كان علم الداعية لابد أن يتعلم من غيره سواء كان أصغر أو أكبر منه	العلم والرشد من الله عزوجل
٦٧	﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾	الصبر على شدة أساتذتنا وشيوخنا	التذكير في الصبر في طلب العلم	الصبر مفتاح الفرج
٦٨	﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾	الوضوح في الإدارة مهم خاصة عند توقع الغرائب	يحتاج الداعية إلى الحزم أحيانا مع المدعوين	﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾ (البقرة:٢٥٥)

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٦٩	﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾	- تجديد العزم على الاحتمال، والمصابرة، وحسن الطاعة والاتباع - ربط الإنجازات المستقبلية بمشيئة الله	لايستغني داعية عن الصبر الجميل والاتباع الأصيل	التوفيق حليف الصابرين المتوكلين على الله
٧٠	﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾	أهمية الحوار والوضوح في الإدارة التعليمية أو غيرها	من حق الداعية أن يضع شروطا واضحة على المدعو لإنجاح مهمته الدعوية	﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام : ٥٩).
٧١	﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾	الإرادة القوية والإدارة السوية لايستغنيان عن الانطلاقة الفتية	المبادرة إلى إنكار مايبدو للإنسان أنه منكر	قد يكون في الخرق حفظ وفي البلاء ارتقاء

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٧٢	﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	التذكير بالعهود أولى من الإهمال	قوة شخصية الداعية	....
٧٣	﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾	سرعة الإنابة والاعتراف بالخطأ لطلب التيسير	داعية الحق سريع الاعتراف بالخطأ	مع كل عسر يسران
٧٤	﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾	تنوع وجوه الانطلاق الإيمان بأن هناك غيب لا يعلمه إلا الله	– انطلاقة جديدة نحو أهداف غريبة – وتغيير لغة الإنكار بما يناسب الحدث (عسرا، نكرا) .	قتل الغلام رحمة به أن يكبر فاسقاً فيدخل النار، ورحمة للأبوين من الإرهاق في الدنيا، واحتفاظ به ليكون معهم في الجنة .
٧٥	﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	الانتقال من التذكير إلى العتاب	ارتفاع لغة الخطاب بما يناسب الحدث	....
٧٦	﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾	ترك الاستعجال في اتخاذ القرار مهما كانت الأعذار	يحتاج الداعية إلى جرعات متجددة من الصبر ليتعلم أكثر	سبحانه يعطي بعض عباده من مكنون الغيب على قدر ما تفهمه عقولهم .

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٧٧	﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	– انطلاقة إلى أرض جديدة – لا حرج من طلب الطعام عند الحاجة – بذل المعروف دون انتظار «المصروف» (الأجر).	– الداعية ينطلق إلى أرض جديدة كل يوم ويحسن إلى الناس حتى لو أساؤوا إليه	من كرم الله على الإنسان أن يعينه على الإحسان لكل إنسان حتى لو أساء إليه
٧٨	﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾	– التدريب على الحسم بعد العتاب والتذكير – الوضوح مع الغير حتى مع الفراق	كل داعية لا يستغني عن الحسم في بعض المواقف مع المدعوين	يختص صاحب التنزيل بعض عباده ببعض وجوه التأويل
٧٩	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾	يرتكب أخف الضررين لمنع الضرر الأشد وقد يعاب أو يبذل الجزء ليحفظ الكل.	الداعية عنده إشفاق على المساكين ويسعى لنجدتهم من الظالمين الغاصبين	يرسل الله كليمه موسى وعبده الخضر لحفظ المساكين الكادحين

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٨٠	﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾	تربية الأولاد على المكارم حفظ للأبوين من الطغيان والكفر والمغانم	من ضروريات الداعية الإشفاق على الآباء ومساعدتهم في تزكية الأبناء	صلاح الآباء أقرب طريق إلى إصلاح الأبناء
٨١	﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾	يلزم الآباء تربية الأبناء على التزكية الإيمانية والأخلاقية خاصة في صلة الأرحام	مساعدة الآباء بوسائل عملية لتزكية الأبناء وتنقية الأخلاق	قد يكون موت الولد عوض للأبوين بأفضل منه، ورحمة للولد من عذاب الله إذا وصل إلى البلوغ بعيدا عن الله
٨٢	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾	- المسلم الحق مشغول دائما برعاية الأيتام - صلاح الآباء أكبر تأمين لمستقبل الأبناء - يجب على كل أسرة جلب الرحمة مثل مايجلبون الطعام والشراب، فهي روح سعادتهم	- تذكير الناس بفتح مؤسسات لرعاية الأيتام والمحتاجين - تذكير الآباء أن يصلحوا مابينهم وبين الله فيتولى الله أبناءهم في الرعاية في حياتهم وبعد مماتهم	- صنائع المعروف تقي مصارع السوء وعاقبة الإحسان أرزاق للأبناء - مقادير الله تجري وفق رحمته وحكمته

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
		- التفويض والتسليم لله تعالى فيما خفيت عنا حكمته وعلته من الأحكام		
٨٣	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾	السؤال نصف العلم	- معرفة التاريخ مهم للداعية - يجب الإجابة على أسئلة المدعوين، مهما كانت غرابتها، بشرط أن تكون الإجابة صحيحة	العلم كله من الله ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ (النساء:١١٣)
٨٤	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾	- اليقين بأن التمكين لايكون إلا من الله - العلم ركن أصيل في التمكين بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال	يجب أن يسعى الدعاة من الاستضعاف إلى الحوار ومنهما إلى التمكين للإسلام والمسلمين، وأن يضعوا الخطط العلمية والعملية للوصول لذلك	القوة والعلم والتمكين محض فضل من رب العالمين

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٨٥	﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	يجب توظيف الطاقات والقدرات والمهارات التي وهبنا الله إياها في فعل الخير ونفع الغير	تذكير المسلمين بأن حسن التوكل يعني الأخذ بكل الأسباب الممكنة وتسليم النتائج إلى رب الأرباب	– إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك
٨٦	﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾	– الحركة بركة والسكون ركود – التفكر في مغرب الشمس يزيد العبد قربا إلى الله	القائد الحق يتحرك في الأرض برسالته (ولايعامل اللئام بما يعامل به الكرام)	من رحمة الله حركة الأرض حول الشمس ليجعل الليل سكونا والنهار معاشا
٨٧	﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾	الإداري والقائد المسلم حاسم مع الظالمين	القائد الداعية يضع اللوائح والقوانين لردع الظالمين في الدنيا ولاينسى أن ينذرهم من عذاب الله في الآخرة.	الانتصاف من المظلومين نشر للأمن وحفظ لمصالح الناس وشفاء لصدور المظلومين
٨٨	﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾	السعي إلى ثواب الآخرة يسبق ثواب الدنيا عند المؤمنين الصادقين	الإداري الداعية يلين للصالحين، ويقرب المخلصين، ويذكرهم بالحسنى عند لقاء رب العالمين	اليسر في الدنيا والحسنى في الآخرة منحة الله للصالحين

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٨٩	﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾	يجب مواصلة الطريق إلى الله	الداعية لايكل ولايمل في الحركة لله	إذا أحب الله عبدا استعمله
٩٠	﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾	– التفكر في مطلع الشمس – التحرك للناس في مواضعهم – شكر الله على نعمة البيوت والمساكن	يمشي الداعية بنور الله شرقا وغربا شمالا وجنوبا ليملأ الأرض عدلا	لولا شمس الله لتوقفت الحياة
٩١	﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾	من الضروري جمع الأخبار الصحيحة ميدانيا	على الداعية أن يسعى إلى أوسع قاعدة من المعلومات عن الأرض وخيراتها، والناس وطبائعهم ليكون على بصيرة في إصلاحهم	الإحاطة من الله نعمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين
٩٢	﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾	الاستمرار في الحركة حتى يأتينا اليقين	لايعرف الداعية السكون إنما يعيش في سعي دائم إلى الخير	من يرد الله به خيراً يرزقه توظيف قدراته فيما يرضي الله تعالى .

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
٩٣	﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾	– القائد الرباني لايكتفي بزيارة الأماكن المشهورة بل يغوص في الأماكن المغمورة – تعلم اللغة وطرائق الإلقاء جد ضروري لكل مسلم	القائد الداعية يحدد بدقة عناصر القوة والضعف في كل قوم أو جماعة سبحان من علم آدم الأسماء كلها	سبحان من علم آدم الأسماء كلها
٩٤	﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾	يحق للمظلومين أن يشتكوا إلى الحكام من الظالمين مع اقتراح حلول مناسبة عليهم	تشجيع المظلومين أن يعلنوا عن مظالمهم وأن يسعوا في إيجابية للتخلص من هذا الظلم	من رحمته بالمظلومين أن يرسل لهم من يردهم ويردعهم عن ظلمهم
٩٥	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	– القائد الرباني ينسب كل نعمة إلى ربه ويوظف طاقات غيره في الخير – القصد إلى الحلول العملية لا النظرية – القائد الرباني	التغيير والإصلاح بالقوة وباليد واجب على كل ذي سلطة في أسرته أو مدرسته أو مؤسسته أو وزارته أو دولته ولايكتفى بالحوار إنما يجب اتخاذ	التمكين للصالحين رحمة للعالمين

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
		يتعفف عن أموال رعيته ويوظف إمكاناته في خدمتهم	القرار الذي يوسع في المعروف ويمنع المنكر	
٩٦	﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾	من الضروري تعلم العلوم النافعة ومنها الكيمياء التي تساعد على حماية الضعفاء من الأقوياء الظالمين	لاينفرد القائد الداعية بأداء كل الأدوار بل يوظف كل الطاقات للوصول إلى الأهداف	من رحمة الله إنزال الحديد فيه بأس شديد لردع كل عنيد
٩٧	﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾	المصابرة لتحقيق الأهداف بأعلى مستوى	القائد الداعية يعتمد قوة البناء الذي يحقق أعلى الرجاء	تم بفضل الله منع الطامعين حتى لا يصلوا إلى المساكين
٩٨	﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾	عند النجاح أو النصر أو الوصول إلى الهدف ينسب الفضل إلى الله والتذكير بلقاء الله	– الداعية لا يمن ولايستكثر بل يشكر فيستثمر – ربط كل شيء بالدار الآخرة	العلم والتمكين والسد رحمة من الله بالمستضعفين
٩٩	﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾	اليقين بوعد الله في انهيار السد وقدوم أمواج من الظالمين على المستضعفين وعليهم تقوم	التذكير بعلامات يوم القيامة ومنها يأجوج ومأجوج	جمع الخلائق بين يديه هو رحمة بالمؤمنين وانتقام من الظالمين .

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
		الساعة فيجمعهم رب العالمين ليحاسبهم أجمعين		
١٠٠	﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾	الخوف الشديد من عذاب الله يوم القيامة	التخويف من عذاب جهنم	التخويف بالنار بشكل مستمر دفع لذوي العقول والقلوب أن يفروا منها .
١٠١	﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	توظيف العين والسمع والحواس في معرفة الله ومنهجه والإحسان إلى خلقه	تذكير الناس في حفظ الحواس من المحرمات والغفلة عن الذكر وحسن توظيفها بما يرضي الله عز وجل	نعمة العين والسمع لايكافئها عبادة الله طوال العمر!
١٠٢	﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾	التجرد من ولاية غير الله خوفا من عذاب الله	دعوة النصارى واليهود والمشركين إلى ترك عبادة الخلق وإفراد الحق بالعبودية	الله تعالى نعم المولى ونعم النصير
١٠٣	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾	يجب تعديل موازين الربح والخسارة وفقا لموازين الله تعالى	على الداعية استخدام أسلوب التشويق وطرح الأسئلة	بيان الله لنا بالأخسرين أعمالاً نعمة كبرى أن نتجنب أسباب الخسران .

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١٠٤	﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	الاستعاذة من الضلال مع حسن الظن في النفس بإرجاع المعايير والموازين إلى منهج الله ورسوله ﷺ	لابد للداعية أن يعاود تقييم جهده وخطته لتكون وفق المنهج الرباني حتى لايضل الطريق وهو يظن أنه على سبيل الحق	من رُزق الإنابة جانبته الضلالة
١٠٥	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾	لاوزن لدى المؤمن لمن كفر بآيات الله ولقائه، واعتقاد أن أعمال الكافرين الحسنة غير مقبولة عند الله	التحذير من الكفر فيحبط العمل وتذهب المكانة عند الله	يرفع الله قوما ويخفض آخرين لمدى استجابتهم له
١٠٦	﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾	شدة الخوف من عذاب جهنم بسبب الكفر والسخرية من الآيات والرسل.	استمرار التخويف والتحذير من الاستهزاء بالنصوص الشرعية والرسالات السماوية لأن عاقبته عذاب في قعر جهنم	الانذار بالعذاب دفع إلى الفرار منه

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١٠٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾	لا سبيل إلى الفردوس إلا بالإيمان والعمل الصالح معا	التذكير باقتران الإيمان بالقلب مع العمل الصالح في الواقع لنسلك طريقنا إلى رضا الله والجنة	الله يصطفي من عباده أصحاب الإيمان، ويلهمهم فعل الصالحات ويكرمهم بدخول الجنات.
١٠٨	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾	الشوق إلى الخلود في أعلى الجنات لايتحول عنه صاحب الإيمان	التأكيد على السعي الحثيث للوصول إلى الخلود في الجنان	في الجنات مستراح لا حِولَ عنه لأصحاب الإيمان
١٠٩	﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾	التفكر في عالم البحار والتدبر في سعة علم الواحد الغفار والإقرار بعجز الإنسان إلى الوصول إلى شيء من علم الله إلا بفضله ورحمته	لايمل الداعية أن يذكر الناس وخاصة أهل العلم بأن فوق كل ذي علم عليم، وأن علمه لاتسعه بحار الأرض لو كانت مدادا وأشجارها لو كانت أقلاما	من رحمة الله سعة علمه سبحانه وشموله كل شيء

م	الآية	الدرس التربوي	الدرس الدعوي	العناية الربانية
١١٠	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	– اعتقاد بشرية النبي ﷺ وتميزه بالوحي الرباني – الاستعداد للقاء الله بأمرين: ١ . صفاء الإخلاص ٢ . صلاح العمل	يجب أن يكثر الدعاة من التذكير ببشرية الرسول ﷺ وتميزه بالرسالة وليس لعبقريته كما وصفه البعض، وأن النجاة بين يدي الله تحتاج إلى تجريد الإخلاص وحسن الاتباع للهدي الرباني	بَعثُ النبي ﷺ من أعظم النعم فبه عرفنا ربنا، وبهديه نسعد في الدنيا والآخرة

النتائـج

١ . هناك فرق بين الشرعة والمنهاج، فالشرعة تفصيل الأحكام، والمنهاج طريقة الوصول إلى الأهداف والأحكام، مثل: القياس كمنهج أصولي، والحكم التفصيلي بحرمة إيجار المسلم على إيجار أخيه قياسا على حرمة بيع المسلم على بيع أخيه. ومنهجيات هذه السورة لاتتعلق بتفصيل أحداثها وإنما بطرائق الإصلاح والتغيير من خلالها.

٢ . منهجية الإصلاح والتدرج من الاستضعاف إلى الحوار ومنهما إلى التمكين بنفس الترتيب الوارد في قصص صراع الحق مع الباطل، أهل الكهف ثم الصاحبين ثم ذي القرنين.

٣ . آية المنهج في قصة أهل الكهف: ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً** ﴾ (الكهف : ١٩)، حيث يكون الباطل قويا مهددا والحق ضعيفا مطاردا. أما إذا تساوى أهل الحق مع أهل الباطل فلايجوز الاعتزال ولا استعمال القوة بل المنهج هو ﴿ **وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾ (الكهف : ٣٧)، أما إذا مُكِّن للحق وأهله فلا يصلح الاعتزال ولايكتفى بالحوار، وإنما يكون المنهج ﴿ **فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ** ﴾ (الكهف:٩٥).

٤ . بطش الأنظمة هو المسوغ لوجود الجماعات السرية كما كان شأن أهل الكهف، ولا مخرج إلا بحرية الأديان ليدخلوا في مؤسسات المجتمع المدني في حوار يظهر فيها الحق والأصلح للبلد والأمة.

٥ . لا يمكن أن ينتقل المستضعفون في الجماعات السرية من الكهف إلى التمكين إلا بعد بذل الجهد لفتح الحوار مع المجتمع كما حدث في قصة الصاحبين، وهي الخطوة الضرورية قبل التمكين لأهل الكهف.

٦ . من خلال قصص السورة ندرك في كل سورة أن هناك منهجية الوصف الدقيق، والتحليل العميق، والحلول المناسبة لكل حالة، وهي منهجية يجب اتباعها في

كل أزمة، خاصة أو عامة، أن نحدد حقيقتها وعمقها وحجمها، ثم أسبابها وأخيرا طرق علاجها.

٧ . غاص كثير من المفسرين في تفاصيل وقصص سورة الكهف مع أن هناك منهجية واضحة لا تجيز البحث فيما ليس تحته عمل ومنها قوله تعالى : ﴿ **فلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاء ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً** ﴾ (الكهف : ٢٢).

٨ . لقد جاءت صيغة أفعل التفضيل عشرين مرة في السورة لتشير إلى منهجية السعي للوصول للأحسن وليس للحسن فقط.

٩ . لا بد للدعاة أن يجيدوا ربط الأسباب بالنتائج كما يبدو من سورة الكهف، فظهور الكافرين على الكافرين سبب لنتيجة هي القتل رجما، والردة ديانة وعدم الفلاح في الآخرة، ومصاحبة من غفل عن الذكر تؤدي إلى اتباع الهوى، وهما سببان لنتيجة انفراط حياة الإنسان.

١٠ . هناك منهجيات في الإدارة الربانية في الحوار بين أصحاب الكهف والذين اكتشفوهم والصاحبين، وموسى وفتاه، وموسى والخضر، وذو القرنين، وأهل المشرق والغرب، وما بين ذلك، وكذا منهجية التفويض في أصحاب الكهف أن يختار أحدهم أزكى الطعام دون تحديد نوعه، ومنهجية فريق العمل الذي كونه ذو القرنين لبناء السد. ومبدأ التذكير عند النسيان ثم العتاب، وأخيرا الحسم كما فعل سيدنا الخضر مع سيدنا موسى، ومنهجية الإرادة القوية، والإدارة السوية، والانطلاقة الفتية، ومنهجية مَجْمع البحرين أي يلزم أن يكون ثمة لقاء على ثوابت بين مؤسسات العمل الخيري الإسلامي وأعمال البر، ووجوه الخير، وآنئذ ستكون هناك منح ربانية قبل التمكين وبعد الالتقاء بين أصحاب الخير.

١١ . جاءت قصة سيدنا موسى والخضر فريدة بين قصص ثلاث كلها صراع بين الحق والباطل أما في هذه القصة فكلاهما صاحب حق، وهي تشير إلى أمرين هامين: أولا: ضرورة التقاء جماعات البر والخير والحوار بينهم والاستفادة من بعضهم، وأن هناك أمراً سيقدره الله قبل التمكين، ولذا جاءت قصة سيدنا

موسى والخضر بين الحوار والتمكين وليس قبل أو بعد ذلك.

١٢ . الفتن قدر الله على العباد صالحهم وطالحهم، ولا بد أن نجيد إدارة هذه الفتن لنحول الزينة الفانية إلى قيمة باقية، ونحول الصداقات إلى دعوة وإصلاح للغير، أو تعاون على البر، ونفوض العلم كله لله، دون نسبة العلم إلى النفس، واتخاذ الشيطان عدوا حقيقيا، وإخلاص الولاية لله وحده، لا للهوى والشيطان، واليقظة له قبل العمل وأثناء وبعد العمل أن يفسد علينا هذه الولاية لله تعالى.

١٣ . من الضروري ملاحظة منهجية الانتقال من الممارسة إلى التذوق حيث نجد في القصص نمو الممارسة لشعائر الإيمان لتصل مع ذي القرنين إلى قمة التذوق لذكر ربه سبحانه وتعالى، وكيف انتقل الصحابة من الغفلة في الجاهلية إلى استحضار القلب ثم حضوره، فنتذوق شعائر بعينها ترسو عليها شواطئ القلوب أكثر من غيرها .

١٤ . هناك منهجية كلمات ربي تدلني على ربي حيث تتجاوز العدد المعجمي لعدد الكلمات التي تدل على الله مثل ورود لفظ الجلالة، أو إله، أو رب، أو صفة من صفاته إلى العدّ النحوي الذي يلحظ الضمائر التي تدل على الفاعل أو المفعول، إلى نظرة أعمق تجعل كل كلمة تدل على الله تعالى في منهج يؤدي إلى ربط قلوب أهل القرآن بالله بشكل أوثق وأعمق مع كل كلمة وليس كل آية أو سورة.

١٥ . وقد ختمت الدراسة التأصيلية ـ التطبيقية بمنهجية العناية الربانية الخاصة التي تنزل على أصحاب الإيمان إذا قاموا بواجبهم التربوي لإصلاح أنفسهم، وواجبهم الدعوي لإصلاح مجتمعهم وأمتهم وعالَمَهم، وقد أثبتت الدراسة بالأدلة النقلية والعقلية وجوب السعي لتغيير للنفس أولاً والمجتمع ثانيا معا دون الاكتفاء بأيهما، حتى ننال العناية الربانية في النصر والتمكين والانتقال من الاستضعاف إلى الاستخلاف ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن الذلة إلى العزة.

١٦ . وفي ختام الكتاب كان التطبيق على كل آية من الآيات المائة وعشر في الجوانب الثلاث: الدروس العملية التربوية (للنفس)، والدعوية (للمجتمع)، وجوانب العناية الربانية التي تنال كل عبد يقوم بهذين الواجبين، على أمل أن نتناول سورة الكهف قراءة للآيات ودراستها والانتقال إلى الحفظ والعمل والدعوة، وآنئذ لن يتأخر علينا وعد ربنا من العناية الربانية الكاملة مثل التي شملت أهل الكهف والصاحب المؤمن وموسى والخضر، وذا القرنين، .... .

❊ ❊ ❊

المحتوى

الموضوع | الصفحة

الحمد لله رب العالمين

صاحب الثناء والمجد

والله المستعان

من إصدارات المؤلف

١- سلطة ولي الأمر	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٢- المقاصد التربوية للعبادات	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٣- امتياز المرأة على الرجل في الميراث والنفقة	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٤- أحكام الحج والعمرة الفقهية وآثارهما التربوية	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٥- مشاركة المسلمين في الانتخابات الأمريكية: وجوبها وضوابطها الشرعية	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٦- توسيع وقت رمي الجمرات ضرورة شرعية معاصرة	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٧- الإجماع الأصولي والغلو في حجيته	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٨- القياس الأصولي	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
٩- مدى حجية الاستحسان وسد الذرائع	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
١٠- المصالح المرسلة	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
١١- حجية الأدلة الاجتهادية الفرعية	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
١٢- أولاد حارتنا - قراءة نقدية وحلول عملية	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
١٣- الشفاعة في القرآن والسنة - رد علمي على د. مصطفى محمود	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
١٤- الحياة الزوجية في الواقع المعاصر - مشكلات واقعية	١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م
١٥- مفاتيح الحب القلبي	١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
١٦- ورتل - أحكام التجويد للمعلمين	١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
١٧- الميراث والوصية بين الشريعة والقانون	١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
١٨- الوصية الواجبة في القوانين العربية دراسة فقهية نقدية	١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
١٩- الصيام مدرسة التغيير	١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م
٢٠- الإسراء والمعراج	١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م
٢١- الضوابط المنهجية للاجتهاد في فقه الأقليات المسلمة	١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م
٢٢- الصيام لجام الشهوات الأربعة	١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م
٢٣- مخاطر العولمة على الأسرة عالميًا وإسلاميًا وعربيًا وسبل الوقاية والعلاج	١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م
٢٤- ثوابت الإيمان بعد رمضان	١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

تحت الطبع

١- ملك السجن - قصة واقعية

٢- الإسلام ودور المرأة في صناعة الحياة

٣- المدارس الإسلامية في الغرب، فريضة شرعية معاصرة

٤- تخصيص العام - دراسة نقدية

٥- العبادات ومقاصدها التربوية لإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والأمة

سلطان للنشر

د. صلاح سلطان
في سطور

* المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمملكة البحرين.
* رئيس المركز الأمريكي للأبحاث الإسلامية بكلومبس أوهايو.
* مؤسس ورئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية سابقًا.
* أستاذ الشريعة الإسلامية المشارك بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.
* عضو المجالس الفقهية في أوروبا وأمريكا والهند.
* عضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.
* عضو المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية.
* ماجستير ودكتوراه في الشريعة الإسلامية كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.
* ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.
* ليسانس في الحقوق والقانون – كلية الحقوق – جامعة القاهرة.